جامعة آل البيت

كلية الشريعة

قسم أصول الدين

آيات الذوق في القرآن الكريم

(دراسة مصطلحية)

Verses of a Taste in the Holy Qura'n

(Terms study)

إعداد الطالب

محمد كريم قادر

الرقم الجامعي

(١٥٢٠١٠٥٠٠١)

إشراف الدكتور

محمد محمود الدومي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في أصول الدين

الفصل الدراسي الصيفي ٢٠١٦-٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ٩﴾ [الإسراء]

((تفويض))

أنا محمد كريم قادر ، أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الاشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة .

التوقيع /

التأريخ / ٨ / ٨ /٢٠١٧م

(إقرار)

أنا الطالب : محمد كريم قادر   الرقم الجامعي : ١٥٢٠١٠٥٠٠١

التخصص : أصول الدين   الكلية : الشريعة

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي بعنوان :

((آيات الذوق في القرآن الكريم _ دراسة مصطلحية))

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطروحات العلمية . كما أنني أعلن بأنَّ رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية ، وتأسيساً على ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أنْ يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب .... التأريخ / ٨ / ٨ /٢٠١٧م

جامعة آل البيت
Al al-Bayt University

قرار لجنة المناقشة

آيات الذوق في القرآن الكريم _ دراسة مصطلحية

إعداد

محمد كريم قادر

الرقم الجامعي (١٥٢٠١٠٥٠٠١)

إشراف الدكتور

محمد محمود الدومي

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
د. محمد محمود الدومي _ رئيساً ومشرفاً	
أ .د عماد عبدالكريم الخصاونة _عضواً	
د. ابراهيم أبو علوش _ عضواً	
أ.د زكريا علي خضر _ مناقشاً خارجياً	

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم أصول الدين _ تخصص تفسير_ نوقشت وأوصي بإجازتها بتأريخ ٨/ ٨ /٢٠١٧م

د

الإهداء

- إلى مَنْ ربَّياني صغيراً ولا زلتُ في ظِلِّ دعائهما أسعد وأهنأ وأعيش واتفوق والديَّ الكريمين حفظهما الله وشافاهما .
- إخواني وأخواتي جميعاً حفظهم الله ...
- وإلى عائلتي الكريمة التي تحملت من أجلي ألم الغربة والفراق وهموم الاولاد.....
- الأقارب جميعاً ....
- إلى الذين مهَّدوا لنا طريق العلم والمعرفة أساتذتنا الكرام حفظهم الله ووفقهم .
- إلى ينابيع الصداقة والمحبة النبع الصافي ، أصدقائي الأعزاء.
- إلى مّنْ علَّمني التفاؤل والمضي للأمام وشجَّعني ، مشرفي الكريم.
- إلى كلِّ طالب علم غيور على هذا الدين .

أهدي هذا العمل المتواضع راجياً من المولى القدير أنْ يرزقني فيه الإخلاص والقبول وأساله سبحانه وتعالى التوفيق والفلاح لي ولجميع المسلمين في الدنيا والآخرة إنَّه سميع مجيب قريب.

محمد

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأصلي وأسلِّم على مَنْ بعثه الله رحمة للناس كافة بشيراً ونذيراً محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الآل الطيبين ، وصحابته الغر الميامين وعلى من سار على نهجهم الى يوم الدين.

أما بعد :

فالشكر أولاً وآخراً لله رب العالمين على ما مَنَّ به عليَّ ، من هداية وتوفيق ورشد وسداد أنْ جعلني ممَّن يخطُّ قلمه في البحث في بعض آيٍ من كتابه الجليل ، وانطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ» . (1)

أتقدم بشكري الجزيل وعظيم امتناني إلى أستاذي وأخي الفاضل الدكتور محمد محمود الدومي إذ تفضَّل بقبول الإشراف على رسالتي وشجَّعني ، ولم يبخل عليَّ بنصح أو إرشاد، وكان لتوصياته الأثر الكبير في إخراج هذا البحث في هذه الصورة .

كما يسعدني ويشرفني أنْ اتقدم بالشكر والامتنان لأصحاب الفضيلة السادة أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقبول مناقشة رسالتي وهم الأستاذ الدكتور عماد عبدالكريم الخصاونة

والدكتور ابراهيم أبو علوش والأستاذ الدكتور زكريا علي خضر

وكما لايفوتني أنْ أتقدَّم بالشكر الجزيل لرئاسة جامعة آل البيت الكرام المتمثلة برئيسها وأعضائها جميعاً...

---

(1) ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ،المحقق: أحمد محمد شاكر ، الناشر: دار الحديث – القاهرة ،الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م ، باب ابتداء مسند ابي هريرة ، ج٧،ص٢٩٥ برقم ٧٤٩٥ ، ورواه البخاري في الأدب المفرد برقم ٢١٨ باب من لم يشكر الناس ، ورواه ابو يعلى في مسنده برقم ١١٢٢

كذلك يسرُّني ويسعدني أنْ أتقدَّم بالشكر الوافر إلى قسم أصول الدين رئيساً وأعضاءً وكلِّ من قام بتعليمي وتدريسي .

وإلى الدكتور محمد شاهر أبي المعتصم والدكتور إبراهيم الجرمي والدكتور خضر والدكتور بسَّام والدكتور يونس ثلج والدكتور عبدالله أسود والأستاذ حسن خليل .

وإلى إخواني كلّ من الأستاذ أحمد والأستاذ محمود والأستاذ ياسين وباقي إخواني وأخواتي الأعزاء الذين بذلوا مِنْ أجلي الجهد والمال في سبيل مواصلة رسالتي ودراستي....

وإلى القائمين على مكتبة "عبدالحميد شومان" أدامها الله ذخراً لطلاب العلم ...

وإلى القائمين على مكتبة " أمانة عمان الكبرى _ دائرة المكتبات" وفقهم الله .....

وإلى وزارة الثقافة " دائرة المكتبة الوطنية " جزاهم الله خيراً على ما قدموه لي .....

وإلى الأصدقاء الأعزاء جميعاً وكل من مدَّ يد العون إليّ ولو بكلمة أو ابتسامة ، وكلِّ الذين وقفوا معي ناصحين ومعلمين ومستشارين في سبيل مساعدتي جميعاً ...

أقول لهم جميعاً أسأل الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أنْ يجعل ما بذلتموه من أجلي في ميزان حسناتكم يوم القيامة ...

وبارك الله فيكم جميعاً

ملخص

آيات الذوق في القرآن الكريم _ دراسة مصطلحية

إعداد الطالب : محمد كريم قادر

الرقم الجامعي (١٥٢٠١٠٥٠٠١)

إشراف الدكتور : محمد محمود الدومي

تهدف الدراسة إلى إخراج مفهوم (الذوق) وتأصيله من خلال استقراء الآيات التي جاء فيها هذا اللفظ إلى أرض الواقع وتحليلها ومناقشتها من خلال أقوال العلماء والمفسرين وأهل اللغة ، وجعلها في كتاب يسهل تناوله للقارئ . جعلت البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة ونتائج ، فاشتملت المقدمة على أسباب اختيار الموضوع واهميته وأهدافه والدراسات السابقة والمنهج الذي سَرَتْ عليه. وبيَّنتُ في التمهيد معنى الذوق في اللغة والاصطلاح . وفي الفصل الأول تحدثت عن استعمالات الذوق في القرآن الكريم وغيره والألفاظ ذات الصلة ، وقسمَّت الفصل في مبحثين : الأول تكلمت فيه عن استعمالات الذوق في غير القرآن الكريم وجعلته على مطلبين، المطلب الاول: الذوق في استعمالات العرب في العصر الجاهلي والمطلب الثاني: الذوق في السُنة النبوية ، أمَّا المبحث الثاني فتحدثت فيه عن الألفاظ ذات الصلة بلفظ (الذوق) وجعلته على أربع مطالب . والفصل الثاني اشتمل على استقراء الآيات الكريمة من القرآن العظيم التي ورد فيها لفظ (الذوق) ، وكانت سبعة وعشرين صيغة ، وبلغ عددها أربعاً وستين آية ، وقسمت الفصل على خمسة مباحث وذلك حسب صيغ الفعل الماضي والمضارع والأمر وعدد

مرات ورودها . أمَّا الفصل الثالث ، فجعلته في مبحثين، الأول :قدمت فيه ألفاظ الذوق التي تحمل معاني الرحمة والنعيم في الحياة الدنيا، وبلغت عدد آياتها ثماني آيات ، واتبعتُ ذلك بأسباب ذوق الرحمة وحال الإنسان مع هذه الرحمة التي جاء التعبير عنها بلفظ الذوق مقترناً بها . أما المبحث الثاني فقدمت فيه ألفاظ ذوق العقوبة والعذاب في الحياة الدنيا ، وبلغ عدد آياتها ثلاث عشرة آية ، وجميع هذه الآيات تحدثت عن أخبار عقوبات حلَّتْ بالأُمم السابقة وذكرتُ أسباب ذوقها العذاب ، وجميعها وقعت وانقضت وهي في الحياة الدنيا. أما الفصل الرابع فتناولت فيه العذاب الأُخروي، وجعلته على مبحثين، الأول : العذاب الخاص بالمشركين وقد تتطرق بعض الآيات المشتركة لتشمل جانباً عن المنافقين ، والمبحث الثاني : عذاب غير المشركين من عصاة الجنِّ وأهل الكتاب ، إذ بلغت آيات العذاب في هذا الفصل ستة وعشرين آية ، وهي أكثر ألفاظ الذوق تناولاً للعذاب. أما الفصل الخامس فجعلته للألفاظ التي رأيتها لا تندرج تحت الفصول الآنفة الذكرِ وذلك لأسباب ؛ منها الرغبة في إعطاء هذا الفصل للبحث طابعاً آخر وما يضفي إليه من حُلةٍ جديدة ؛ ولِأنَّ هذه الآيات جاء غالبها منفردة إلا ما ندر. كذلك أهمية بعض هذه الآيات، مثلاً منها ما يخصُّ شخص النبي صلى الله عليه وسلم ، فأحببت أنْ افرده في مطلب خاص ، ومنها ما يذكر قصة أبينا آدم وأمِّنا حواء وكيف حصلت مراودة الشيطان لهما، ومنها ما يتعلق بالأحكام الشرعية الخاصة بركن عظيم من أركان هذا الدين – وهو الحج – ومنها ما يتعلق بعمل الإنسان وكسبه وكنزه ، وما إلى ذلك من أمور، تركت التفصيل فيها خشية الإطالة. كل هذه الامور وغيرها جعلتني أفردها في فصل خاص ، ثم أنهيت البحث بخاتمة تضمنت ما توصلت إليه من نتائج وأهمِّ التوصيات التي أحببت أنْ أُذكِّر بها إخواني من طلبة العلوم الشرعية للأخذ بها . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ثبت المحتويات

المقدمة

الحمد لله ذي النِعم والآلاء والصلاة والسلام على نبي الرحمة إمام الأنبياء محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين النجباء وعلى صحبه سادة المؤمنين الأتقياء وعلى من سار على نهجه القويم إلى يوم الدين .

أما بعد:

فإنَّ المتأمل في آيات القرآن الكريم يجد كثيراً من المصطلحات التي تنجذب إليها النفس وتتشوق لها الأفئدة لمعرفة ما تحمل في جنباتها من معانٍ ومدلولات تتوضح بالبحث والاستنباط . وانطلاقا من هذا جاءت هذه الدراسة تحاول أن تجلي بعض هذه المعاني التي يحملها أحد هذه المصطلحات ، أراد الباحث بما هيأه الله له من إمكانيات أنْ يقف عند مصطلح (الذوق) ومشتقاته ، لعلَّه أنْ يقدم شيئاً يحمل في طياته إجابة لكثير من التساؤلات التي تثار حول هذه اللفظة ، وقد اتبع الباحث من أجل الوصول للهدف منهج التفسير الموضوعي من خلال استقراء آيات القرآن التي وردت فيها هذه اللفظة، ثم الوقوف على هذه الآيات كلٌ منها على حِدة وتحليلها ، ومعرفة أهم الموضوعات والقصص التي من أجلها سيقت هذه الألفاظ واستخراج معانيها على قدر الاستطاعة .... ومن الله التوفيق.

أسباب اختيار الموضوع

لعلي أستطيع تلخيص أهم الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع ومنها :

١- خدمة كتاب الله تعالى وهو بمنزلة وسام شرف لي ، كوني أتعامل مع أعظم كتاب نزل وهو القرآن العظيم ، حبل الله المدود من السماء إلى الأرض.

٢- تحرير مصطلح (الذوق) إلى أرض الواقع وتحرير المصطلحات والألفاظ ذات الصلة بلفظ (الذوق).

٣- الكشف عن بعض أساليب القرآن الكريم في لفظ (الذوق).

٤- إخراج الموضوعات التي يدور فيها وحولها لفظ (الذوق) ولها علاقة بالبحث والدراسة لتكون زاداً للدعاة والمصلحين بما يتوافق مع طبيعة العصر. فتتكامل عناصر الموضوع وتتوافر معانيه.

٥- إنَّ هذا الموضوع لم يطرق من قبل كرسالة علمية مخدومة خدمة علمية بهذا الشكل.

٦- غالب ألفاظ (الذوق) تتعلق بحياة الإنسان الأُخروية ولها أهمية بالغة .

٧- طبيعة هذا الزمن وما يموج فيه من فتن وشبهات تستوجب على طلبة العلم- المتخصصين في الدراسات الموضوعية – لتكون زادًا للباحثين في هذا المجال .

أهمية الدراسة

تظهر أهمية هذه الدراسة من عدة جوانب:

١. كونها تتعامل مع كتاب الله وهو أعظم كتاب .

٢. إبراز معاني هذه اللفظة إلى ساحة التفسير الموضوعي .

٣. تصحيح مفهوم الناس حول هذه اللفظة وإخراجها من نطاقها الحالي إلى نطاقٍ مألوف.

٤. رفد المكتبة الإسلامية بهذا المؤلف.

مشكلة الدراسة

من الممكن صياغة مشكلة الدراسة على النحو الآتي :

١. ما هو المفهوم الحقيقي للذوق في القرآن الكريم ؟

٢. هل يستعمل لفظ الذوق خارج دائرة المعنى المتعارف عليه؟

٣. ما هي الموضوعات التي تناولها لفظ الذوق؟

٤. هل لهذا اللفظ مرادفات أو ألفاظ ذات صلة ؟

٥. هل جاء لفظ الذوق للعذاب أم الرحمة ؟

٦. هل ورد لفظ الذوق في سياق الآيات المكيَّة أم المدنية ؟ وأيَّهما أكثر؟ ولماذا؟

منهج البحث:

يقوم منهج البحث على أُسُس أهمها:

١- المنهج الاستقرائي : الذي يقوم على استقراء الآيات من القرآن الكريم التي وردت فيها لفظ الذوق وجمعها وتقسيمها حسب ما يلزم الامر.

٢- المنهج التحليلي : الذي يقوم على تقسيم هذه الآيات إلى مجموعات تشكل فصول هذه الدراسة ومباحثها ثم دراستها دراسة تحليلية موضوعية وفقاً لخطوات المنهج الموضوعي في تفسير القرآن.

٣- تتبع أقوال العلماء والمفسرين وأهل اللغة في لفظ الذوق وجمعها في كتاب واحد ومناقشتها وتحليلها للإفادة منها.

أهداف الدراسة:

يطمح الباحث أنْ تحقق هذه الدراسة الأهداف الآتية :

١. دراسة المفهوم الكامل للذوق في القرآن الكريم.

٢. جمع ألفاظ الذوق الواردة في القرآن الكريم في كتاب واحد يسهل تناوله .

٣. بيان مجالات استعمالات الذوق لتكون قاعدة في التفسير الموضوعي.

٤. إبراز الأساليب التي وردت فيها هذه الألفاظ.

٥. لفت الأنظار إلى هذه المصطلحات من قبل أهل الاختصاص .

٦. تؤكد هذه الدراسة أنَّ مراحل التفسير لا تتوقف مطلقاً عند زمن معين وعند رجال معينين.

الدراسات السابقة:

من خلال اطِّلاع الباحث وضمن حدود بحثه بما هو متيسر من وسائل اتصال مرئية ومسموعة وجد الباحث ما يلي :

١- رسالة ماجستير بعنوان (الذوق الجمالي في القرآن الكريم) جامعة الجزائر كلية العلوم الإسلامية قسم العقائد والأديان ،الباحث وحيد حرحوز ، قدمت عام ٢٠١٣م، اشراف الدكتور طاهر العامر ، حيث لم تتطرق الرسالة لمادة (الذوق) سوى التعريف من الناحية اللغوية فقط وعرّفته من الناحية الاصطلاحية فيما يخصُّ الجمال ، أما باقي المطالب ليس لها علاقة البتة بالدراسة الموضوعية للذوق في القرآن الكريم .

أما رسالتي فتوسعت فيها حيث جمعت كل الآيات التي ورد فيها لفظ الذوق وبينت أسباب ذوق العذاب وبالتفصيل .

٢- بحث بعنوان (مقامات مادة الذوق في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية)- أ.د عبدالعزيز العمار المنشور في مجلة تبيان للدراسات القرآنية العدد الرابع عشر - للعام ١٤٣٤هـ، حيث جاء البحث على مقدمة ومبحثين :

ذكر فيها مقامات آيات مادة الذوق وآيات كل مقام والصيغ الواردة فيها وتتبع اللفظة وحصر مقاماتها وبيَّن الأسرار البلاغية التي انطوت عليها هذه اللفظة في المقام الذي ورد فيه والذي ضمَّها دراسة تطبيقية يُبرز من خلاله بلاغة القرآن وإعجازه ، وهي دراسة بلاغية .يختلف هذا البحث من رسالتي كونه درس الموضوع من الناحية البلاغية ، اما بحثي فسيكون عن الموضوع الذي يدور حوله هذا اللفظ (الذوق) وهي دراسة هذا المصطلح ، وتوسعت في الدراسة من جوانب عديدة شملت اللفظ ومشتقاته والالفاظ ذات الصلة ، واسباب ذوق العذاب ، ومن هم الذين نالهم ذوق العذاب .

خطة الدراسة:

تحقيقاً للأهداف المرسومة آنفاً اقتضت خطة الدراسة أنْ أجعلها على ملخص للرسالة ومقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة جاءت على النحو الآتي :

المقدمة وتشمل :

١- أهمية الموضوع .

٢- أسباب اختيار الموضوع.

٣- أهداف الدراسة .

٤- الدراسات السابقة .

٥- منهجية البحث .

٦- خطة البحث التفصيلية .

التمهيد : مفهوم الذوق في اللغة والاصطلاح:

أولاً : مفهوم الذوق في اللغة .

ثانياً: مفهوم الذوق في الاصطلاح .

الفصل الأول : استعمالات الذوق في القرآن الكريم والألفاظ ذات الصلة:

المبحث الأول : الذوق في غير القرآن الكريم ،وجعلت المبحث على ثلاث مطالب:

المطلب الأول: الذوق في استعمالات العرب في العصر الجاهلي .

المطلب الثاني: الذوق في السُنة النبوية

المبحث الثاني : الألفاظ ذات الصلة بألفاظ الذوق:

المطلب الأول : الإصابة.

المطلب الثاني: الطَعم.

المطلب الثالث: المسُّ.

المطلب الرابع : السوم

الفصل الثاني : صيغ الذوق وألفاظهُ في سياق القرآن الكريم:

المبحث الأول : الصيغ الواردة مرة واحدة.

المطلب الأول : صيغة الفعل المضارع.

المطلب الثاني : صيغة الفعل الماضي.

المطلب الثالث : صيغة الفعل الأمر.

المبحث الثاني : الصيغ الواردة مرتين:

المطلب الأول: صيغة الفعل المضارع.

المطلب السابع : الذوق مع الفتنة.

المطلب الثامن : الذوق مع الكبرياء.

الخاتمة : التوصيات والنتائج.

تمهيد

مفهوم الذوق لغة واصطلاحاً

أولاً: مفهوم الذوق في اللغة

الذوق: لغة: قال ابن فارس: (ذوق) الذال والواو والقاف أصل واحد، وهو اختبار الشيء من جهة تطعم، ثم يشتق منه مجازا فيقال: ذقت المأكول أذوقه ذوقا. وذقت ما عند فلان: اختبرته.(١)

وفي الصِحاح: (ذَاقَ) الشيء من باب قال و(ذَوَاقًا) بفتح الذال و(مَذَاقًا) وَ (مَذَاقَةً) أيضا وما ذاق (ذَوَاقًا) بالفتح أيضا أي شيئاً(٢).

قال الزمخشري: ذُقْتُ الطعامَ، وتذوقته شيئاً بعد شيءٍ. وهو مَرُّ المذاقِ. وما ذقتُ اليوم ذواقاً "ولا تفرّقوا إلا عن ذواق ".(٣)

والذوق: مصدر ذاقَ الشيءَ يذوقه ذوقاً وذواقاً ومذاقاً، فالذواقَ والمذاقُ مصدرانِ.(٤)

وأصل الذَوَاق: بالفم، ثم قد يستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختبار، تقول في الكلام: ناظِرْ فلاناً وذق ما عنده، أي تعرّف واختبر، واركب الفرس وذقه (١) أي: يريد أن يجرب الفرس

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٦، ج٢، ص٣٦٤ ، مادة ذوق

(٢) الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١، ص١٩٠

(٣) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٢، ج١، ص٣٢٠

(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥، ج١٠ ، ص١١١- ١١٢

ليعرف عنها مدى قوتها وسرعتها .

و"يكون بالفم وبغير الفم. وذاق الرجل عسيلة المرأة إذا أولج فيها إذاقة حتى خبر طيب جماعها، وذاقت هي عسيلته كذلك لما خالطها.."[٢]

قال الغزّالي: إنَّ الذَّوْق واللمس يحتاجان إِلَى المماسة [٣]

قال الشماخ في وصف قوس: [٤]

فذاق فأعطته من اللّين جانبا   كفى ولها أن يُغرقَ النبلَ حاجزُ [٥]

أي يريد أن يعرف مدى صلابة القوس وقوتها وليونتها ، والملاحظ أن العرب كانت تستعمل هذا المصطلح في أقوالهم وأشعارهم لأن هذه الألفاظ ليست غريبة عندهم وإنما هي مألوفةٌ عندهم سليقةً .

---

(١) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرأن، تح: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج١ ص١٠٥

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠ ، ص١١١-١١٢

(٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تح: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي – قبرص، ط١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، عدد الأجزاء: ١ ، ص٤٧.

(٤) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م، ج٣ ،ص١٧٥.

(٥) الشماخ الذبياني، الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني، قال البغدادي وآخرون: اسمه معقل بن ضرار، والشماخ لقبه، (توفي ٢٢هـ، ٦٤٢م) شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من طبقة لبيد والنابغة، يكنّى أبا سعيد، وأبا كثير، وأمه معاذة بنت بجير بن خلف من بنات الخرشب، ويقال: إنهن أنجب نساء العرب، كان شديد متون الشعر، ولبيد أسهل منه منطقاً، وكان أرجز الناس على البديهة، جمع بعض شعره في ديوان، شهد القادسية، وتوفي في غزوة موقان، ديوان الشماخ بن ضرار، ج١، ص٣٤.

ويرى الباحث من خلال هذه التعريفات اللغوية لمادة الذوق أنَّ جميعها تشترك بمعانٍ منها: الاختبار، واللمس، وتطعم الشيء باللسان أو بالكلام، فيكون بالفم وغيره مما يؤدي وظيفة الذوق الذي أَلِفته ألسنة العرب في الشعر والنثر في كلامهم، وبهذا جاء القرآن الكريم بكثير من هذه الألفاظ ونزل بلغتهم لأنهم استعملوها وأَلِفوها، وهذا مما يدل على أن القرآن العظيم إنما جاء امتداداً لاستخدام العرب لهذه الألفاظ، وخاطبهم بما يفهمون، لتحقيق المقصد والهدف الذي يسعى اليه لإيصال المغزى الحسي والمعنوي لديهم ليكون أكثر وقعاً في النفس قبل الجلد.

ثانياً: مفهوم الذوق في الاصطلاح

بما أن هذا اللفظ ليس من ألفاظ الفقه أو الأصول أو من المصطلحات التي لها علاقة بفن من الفنون على وجه التحديد ، وذلك لمشاركته أكثر من فن ، فقد عرّفه أبو البقاء الكفوي بقوله: الذوق عبارة عن قوة مرتبة في العصبة البسيطة على السطح الظاهر من اللسان من شأنها إدراك ما يرد عليه من خارج الكيفيات الملموسة وهي الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة . (١)

وعرّفه الثعلبيُّ بأنَّه: حاسَّة يحصل منها إدراك الطعم، والمراد به إدراك الآلام . (٢)

(١) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش – محمد المصري، عدد الأجزاء ١، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م. ،ج١، ص٤٦٢.

(٢) الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١ ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٠، ج٧ ص١٥

والذوق في الأصل قليله تعرف الطعم، وكثيره عبارة عن كل تجربة، وقد يشمل ما يتعلق بلطائف الكلام لكونه بمنزلة الطعام اللذيذ الشهي لروح الإنسان المعنوي، والطبع بما يتعلق بأوزان الشعر؛ لكونها بمحض الجبلة ، بحيث لا ينفع فيها إعمال الجبلة إلا قليلاً. (١)

أما القاضي النكري فعرفه بقوله: قوة في العصب المفروش على جرم اللسان وإدراكها بتوسط الرطوبة اللعابية بأن يخالطها أجزاء لطيفة من ذوي الطعم ثم يغوص وينفذ هذه الرطوبة معها في جرم اللسان إلى الذائقة والمحسوس حينئذ كيفية ذي الطعم وتكون الرطوبة واسطة لتسهل وصول الأجزاء اللطيفة الحاملة للكيفية إلى الحاسة أو بأن يتكيف نفس الرطوبة بالطعم بسبب المجاورة فتغوص وحدها فتكون المحسوس كيفيتها. (٢)

وذكر ابن عاشور تعريفاً آخر إذ يقول: الذوق كيفية للنفس بها تدرك الخواص والمزايا التي للكلام البليغ، والإذاقة حقيقتها إحساس اللسان بأحوال الطعوم، وفي كثير من مواضع القرآن الى إحساس الألم والاذى احساساً مكيناً، كتمكن ذوق الطعام من ذائقه لا يجد له مِدفعاً، واستعمل الذوق في الاحساس بالعذاب مجازاً مرسلاً بعلاقة التقييد في الاحساس .(٣)

---

(١) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش – محمد المصري، عدد الأجزاء ١، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م. ،ج١، ص٤٦٢.

(٢) الاحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت: ق ١٢هـ)، دستور العلماء =جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٤، ج٢، ص٩٠

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين)، ج ١ ،ص٢١، ج١٤، ص ٣٠٦ وج٢٧، ص٢٠٦ وج٢٨ ، ص ٢٦٨ .

ومفهوم الذوق عند أهل التصوف: نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره [١]

ويذكر التهانوي في موسوعة الكشاف: بأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير عكس، فكان في الإذاقة إشعار بشدة الإصابة. [٢]

ويستعار الذوقُ للأحساس بالعذاب ويستعمل لمطلق الاحساس والوجدان، بالعذاب والذوق باللسان أشدُ من اللمس باليد أو الجلد.[٣]

والذي يظهر من خلال التعريفات اللغوية والاصطلاحية أن لفظ (الذوق) بدايةٌ لقليل من طعام او شراب، وقد تعارف عليه الناس بأنه كتطعم لشيء قليل من طعام أو شراب، أو تذوقه ليعرف به ملوحة أو حلاوة شيء، أو هو قليل من مس أو إصابة من عذاب، أو همٍ،أو جوعٍ ، أما (الذوق) عند العرب من الذين عايشوا نزول القرآن ومن قبلهم من أهل الشعر والنثر وعوام الناس آنذاك فقد استعملوا هذه اللفظة في المأكول والملبوس والمحسوس وخارج الامور

---

(١) الجرجاني ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، التعريفات ،المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ،الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م،ج١،ص١٠٧

(٢) التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تح: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١ – ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢، ج١، ص١٦٣

(٣) ينظر: أبن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين)، ج ١، ص٢١، ج١٤، ص ٣٠٦ وج٢٧ ، ص٢٠٦ وج٢٨ ،ص ٢٦٨ .

المحسوسة، ويعتبر هذا أسلوباً من أساليب العرب في التخاطب فيما يفهمونه بينهم، ولهذا جاء كتاب الله تعالى ليقوي لغتهم التي كانوا يتكلمون بها فخاطبهم بهذه الألفاظ ضمن دائرة المحسوس وخارجها، فهُم يعرفون مقاصد القرآن بهذه التعابير، فتارة يذيقهم البأس وتارة الخوف والجوع وتارة العذاب، فلا يخرج الذوق اللغوي والاصطلاحي من هذه المفاهيم والمعاني قديماً وحديثاً، وقد أراد الله تعالى به في بعض الآيات إذاقتهم القليل من العذاب أو النعيم وأراد أيضا الشعور والاحساس المكين وأدراك الآلآم، وستظهر لنا إن شاء الله عند مرورنا بالآيات التي ورد فيها لفظ الذوق مقترناً مع الكلمات التي جاءت في سياقها كل ما ذكرنا .

الفصل الأول

استعمالات الذوق في القرآن الكريم وغيره

والألفاظ ذات الصلة

تمهيد :

لقد ورد استعمالات ألفاظ (الذوق) وصيغه المختلفة في القرآن الكريم وغيره بعدة معانٍ اعتمادا على السياق القرآني وسياق الكلام الذي جاء فيه والكلمات الواردة بعد هذه الألفاظ أو قبلها، ولكن أيضا نجد أن لاستعمالات هذه اللفظة جذوراً، إذ كان العرب في لغتهم يستخدمون هذا اللفظ، قبل نزول القرآن الكريم، واستخدام أساليب العرب لهذه الألفاظ كثيرة، علماً أن للعرب في أشعارهم شواهد غير قليلة على استعمال كلمة "الذوق" خارج دائرة المطعوم والمشروب، وأحيانا خارج دائرة الإحساسات الجسمية كلها، وجعلت الفصل في مبحثين ،وبينت فيه استعمال العرب لهذه الألفاظ في أشعارهم وأقوالهم، وجعلت المبحث في مطلبين ، ذكرت في المطلب الأول استعمال العرب قبل الاسلام للفظ (الذوق) في أشعارهم، والمطلب الثاني في استعمال الذوق في السُنة النبوية .

وكان المبحث الثاني مشتملاً على الألفاظ ذات الصلة بلفظ (الذوق)، التي تشترك معه في المعنى مما جاء في القرآن وفي كلام العرب مما ليس في القرآن، وجاء المبحثُ مقسماً في أربع مطالب، كان الأول منها ؛ في الإصابة والمطلب الثاني في الطَعْم والمطلب الثالث في المسُّ والمطلب الرابع في السوم .

المبحث الأول

الذوق في غير القرآن الكريم

جاء في كلام العرب من شعر ونثر شواهد كثيرة تدل على استعمال كلمة "الذوق" خارج دائرة المطعوم والمحسوس والمشروب، وأحيانا بعيدا عن دائرة الإحساسات الجسمية كلها، وجعلت المبحث على مطلبين :

المطلب الأول: الذوق في استعمالات العرب في العصر الجاهلي

المطلب الثاني: الذوق في السُنة النبوية

المطلب الأول

الذوق في استعمالات العرب في العصر الجاهلي

كان للفظ الذوق حضورٌ في ألفاظ العرب إذ كانوا يستعملونه في تعاملاتهم قبل نزول القرآن، فمثلاً ما ورد في "لسان العرب"، إن "ما نزل بالإنسان من مكروه فقد ذاقه"(١)

إذن كيف يذاق المكروه، وهو شيء معنوي غير محسوس، والتذوق لا يكون إلا في طعام أو شراب أو ملموس أو محسوس، ولكن نقول أن العرب كانت تعي ما تقول وهو من المألوف لديهم وهو أسلوب من الأساليب التي كانت تستخدمه العرب في خارج المحسوسات ولذلك ترى أن القرآن الكريم جاء يساير حياتهم اللغوية الدارجة عندهم، فلم يعترضوا على الكلمات القرآنية غالباً حين ما نزل القرآن وإنما حيرهم الأسلوب القرآني في عرض هذه الكلمات والعبارات، وقوة السبك ، فمن هذا نرى ما جاء في أشعارهم استعمال هذه الألفاظ بكثرة، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

- فمن ذلك ما جاء في شعر عنترة بن شداد وهو من شعراء ما قبل الاسلام يقول:

فإذا ظلمتُ فإن ظلمي باسلٌ   مُرٌّ مذاقته كطعم العلقمِ (٢)

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٣ ، ص١٥٢٦

(٢) معنى البيت: وإذا ظلمت وجدت ظلمي كريهًا مُرًّا كطعم العلقم، أي من ظلمني عاقبته عقابًا بالغًا يكرهه كما يكره طعم العلقم من ذاقه.شرح البيت الكتاب: شرح المعلقات السبع المؤلف: حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد الله (ت: ٤٨٦هـ)، الناشر: دار احياء التراث العربي ط١ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م عدد الأجزاء: ١ ، ص٢٥٥

- وكذلك ما ورد في شعر طُفيل الغنَوي وهو أيضا من شعراء العصر الجاهلي:

فذوقوا كما ذقنا غداة محجَّر   من الغيظ في أكبادنا والتحوُّبِ[1]

- وقول ابن مقبل:

أو كاهتزاز رُدَيْنيٍّ تذاوقه   أيدي التجار فزادوا متنه لينا[2]

وقد ذاقتها أي من كثرة اللمس ، وتذاوق التجار السلعة أي لمسوا البضاعة .

- وقول الشماخ بن ضرار عن قوس: [3]

فذاق فأعطته من اللين جانباً   كفى ولها أن يُغْرِق النّبْلَ حاجِزُ [4]

جاء الذوق في شعر عنترة في استعماله لهذا اللفظ أنه يريد ان يبين شدة ظلمه وقوته ويصفه بالعلقم المر الذي لا يذاق ولا يمكن تجرعه، وقد استعمل عنترة الذوق مع الظلم، فالظلم لايذاق بالفم، وهذا مما يدل على استعمال العرب لفظ المطعوم خارج المحسوس، فكل هذه الأشعار ليست إلا غيضا من فيض تدل على استعمال العرب قبل نزول القرآن لهذه الألفاظ من غير تكلف وهي من طبيعة لغتهم، فالأسلوب البلاغي عندهم جاء سليقة وهو مما

---

(١) "محجر": يوم كان على غنيٍّ. و"التحوب": التوجع ،المعاني من كتاب الاخفش، علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر (ت: ٣١٥هـ)، الاختيارين، تح: فخر الدين قباوة الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سورية ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، ج١، ص٤٠

(٢) ديوانه، ص ١٦١، وينظر: أساس البلاغة، للجرجاني، ج١، ص٣٢٠

(٣) ديوان الشماخ ،ص١٨٧

(٤) معنى البيت: وذق قوسي لتعرف لينها من شدّتها، أساس البلاغة ج١، ص٣٢٠

تعارفوه وفهموه آنذاك والذي يظهر أن استعمال الذوق هنا هو لأختبار الشيء في غير المطعوم .

المطلب الثاني

الذوق في السُنة النبوية

أما في العهد الذي عايشوا نزول القرآن فإننا نجد استعمال لفظ (الذوق) ظاهر، فمثلاً في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام فإننا نجد أنها في استعمالها لهذه الكلمة، لا تختلف عن القرآن الكريم، فنرى كثيراً من الأحاديث النبوية التي تستخدم هذا المصطلح أيضا وهذه بعض أمثلة على ما نقول.

وهذه بعض الاحاديث التي تدل على ذلك:

الحديث الأول: – في صحيح مسلم عن الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: ((ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)) [(١)]

الحديث الثاني: عن جابر رضي الله عنه قال ((مكث النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه وهم يحفرون الخندق ثلاثا ، لم يذوقوا طعاما)). [(٢)]

---

(١) مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٥، ج١ ، ص٦٢، برقم ٦٤

(٢) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، ج٢٢ ،ص ١٢٢، جزء من حديث برقم ١٤٢١١

الحديث الثالث: عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال :((الفأرة مسخ وآية ذلك أنه يوضع بين يديها لبن الغنم فتشربه ويوضع بين يديها لبن الإبل فلا تذوقه ، فقال له كعب – رضي الله عنه –: أسمعت هذا من رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – ؟ قال: أفأنزلت علي التوراة ؟)). (١)

الحديث الرابع: ومن حديث عائشة رضى الله عنها ، قال عامر بن فهيرة: إني وجدت الموت قبل ذوقه: إن الجبان حتفه من فوقه (٢)

ففي هذه الاحاديث النبوية أيضا، مما يدل على أن استعمال لفظ الذوق جاء في جوانب عديدة، ففي الحديث (ذاق طعم الايمان)، فالإيمان معنوي ولا يذاق باللسان، فالإيمان له حلاوة وطعم يذاق بالقلوب كما يذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم، فإن الإيمان هو غذاء القلوب.(٣)

كذلك حديث حفر الخندق فنراه قصد الصحابي الذوق الحقيقي للطعام، وفي حديث المسخ كذلك أراد بالذوق الحقيقي وهو الشرب، وكل هذه الأحاديث تشير الى استعمال هذا اللفظ في السنة النبوية وهي الوحي الثاني بعد القرآن في دائرة المطعوم والمشروب وخارج دائرة الاحساسات الجسمانية، وفي هذا دليل على أن السنة النبوية كان لها الحظ الأوفر من لغة القرآن،

---

(١) مسلم ، صحيح مسلم، باب في الفأر وأنه مسخٌ، ج٤،ص٢٢٩٤، برقم ٢٩٩٧

(٢) ابن حنبل، مسند الامام احمد، ج٤٣، ص١٥٤

(٣) ابن رجب ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري،تح: ١ – محمود بن شعبان بن عبد المقصود.٢– مجدي بن عبد الخالق الشافعي.٣ – إبراهيم بن إسماعيل القاضي.٤ – السيد عزت المرسي.٥ – محمد بن عوض المنقوش.٦ – صلاح بن سالم المصراتي.٧ – علاء بن مصطفى بن همام.٨ – صبري بن عبد الخالق الشافعي. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية.الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، ج١ ،ص٥٠

كما ثبت عند الشيخين من حديث أبي هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم " أوتيتُ جوامع الكلم" .[١]

(١)البخاري ، صحيح البخاري برقم ٢٩٧٧ جزء من حديث ومسلم،صحيح مسلم، برقم ١١٩٥

المبحث الثاني

الألفاظ ذات الصلة بألفاظ الذوق

سنتناول في هذا المبحث الألفاظ الواردة في القرآن الكريم وغير القرآن والتي لها معنى لغوي يتطابق مع هذا اللفظ أو له صلة بالمعنى اللغوي (للذوق) مبيناً الحكمة والبلاغة القرآنية في استخدام هذه الألفاظ دون غيرها، وبعد استقراء الألفاظ المطابقة أو التي لها صلة بألفاظ الذوق توصلت إلى ستة أَلفاظ لها علاقة بلفظ الذوق، وإني بذلك لا أدعي بهذه الألفاظ الحصرَ ولكن كان هذا قصارى جهدي، فأفردت لكل لفظة منها مطلباً كما يلي:

المطلب الأول : الإصابة

المطلب الثاني: الطَعْم

المطلب الثالث: المَس

المطلب الرابع: السوم

المطلب الأول

((الإصابة))

الإصابة: في اللغة: (التَّفْجِيعُ) أصابه بكذا: فجعه به، وأصابهم الدهر بنفوسهم وأموالهم: جاحَهم فيها ففجعهم (كالمصابَةِ) والمصاب، وقولهم للشدة إذا نزلت: صَابت بِقُرَ، أي صارت الشدة في قرارها، فعن أبي هريرة: (من يرد الله به خيراً يُصِب منه)(١)،أَي: ابْتَلَاهُ بالمصائب ليثيبه عليها، وهو الأمر المكروه ينزل بالإنسان.(٢)

وفي التنزيل جاءت لفظة الإصابة لتعطي معنى الإذاقة، فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية القرآنية من سورة الشورى في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشورى: ٤٨]، كذلك فإنه استعمل في الرّحمة الإذاقة، وفي السيئة الإصابة ، فقال﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ ، تنبيها على أنّ الإنسان بأدنى ما يعطى من النّعمة يأشر ويبطر. (٣)

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، حسب ترقيم فتح الباري، الناشر: دار الشعب – القاهرة، ط١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، عدد الأجزاء: ٩، ج٧ ص١٤٩، برقم ٥٦٤٥

(٢) الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ج٣ ص ٢١٤–٢١٥

(٣) الراغب ، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، المفردات في غريب القرآن، الناشر: دار العلم الدار الشامية، مكان الطبع: دمشق . بيروت، سنة الطبع: ١٤١٢ هـ، تحقيق: صفوان عدنان داودى ، ص٣٣٣ .

يظهر من كلام الراغب بين الإذاقة والإصابة ترادف وتقارب في المعنى حيث جعل الإذاقة أقل من الإصابة في الشدة أي أنهم بالاذاقة القليلة للرحمة يفرح لما يجد وإذا وجد ما يصيبه من سوء وهو من كسبه يبطر ويتضجر .

قال تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران ١٢٠]

يقول الزمخشري عن هذه الآية فإن قلت: كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالإصابة قلت: المس مستعار لمعنى الإصابة فكان المعنى واحدًا .[١]

(١) الزمخشري، الكشاف، ج١ ، ص٤٠٧

المطلب الثاني

((الطَعْم))

ففي اللغة: (طعم – كعلم – طُعماً، بالضم: ذاق) فوجد طعمه، (كَتَطَعَّمَ) (١)

وفي الصحاح: طعم يطعمُ طعماً فهو طاعم، إذا أكل أو ذاق (٢)

وجاء في القرآن الكريم ما يثبت أن الطعم، يرادف لفظ الذوق، ففي الآية القرآنية في قوله تعالى من سورة البقرة جاء لفظ (الطعم) في موضع الابتلاء يقابل لفظ الذوق، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة ٢٤٩]

فعن هذه الآية من قوله تعالى :﴿ فَمن شرب مِنْهُ فَلَيْسَ منى وَمن لم يطعمهُ فَإِنَّهُ منى﴾ قال الجوهري: أي: من لم يذقه. قال الليث: طعم كل شيءٍ يؤكل، جعل ذواق الماء طعماً، ونهاهم أن يأخذوا منه إلا غرفة، وعن ابن عباس أَنه قال فِي زمزم: إنَّه طعَامُ طُعْمٍ وشفاء سُقْمٍ.(٣)

(١) الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ج٣٣، ص١٦

(٢) الجوهري، الصحاح، ج٥ ،ص٢٥٣

(٣) الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، لمحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨، ج٢، ص١١٤

كذلك في قوله تعالى "وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى" أي: من لم يذقه، وطعم كل شيء ذوقه، ومنه التطعم، يقال: تطعمت منه أي: ذقته، وتقول العرب لمن لا تميل نفسه إلى مأكول، تطعم منه يسهل أكله.[١]

أي تغني شاربها عن الطعام أي أنها تصلح للأكل. [٢]

وكذلك في أشعار العرب من هذا القبيل فقد أنشد الشماخ يقول: [٣]

(فَأَما بَنُو عَامرٍ بِالنِّسَارِ غَدَاةَ لَقُونَا فكَانُوا نَعَامَا)

(نَعامًا بخَطْمَةَ صُعْرَ الخُدودِ لَا تَطْعَمُ المَاءَ إلاّ صِيامَا)

يقول هي صائمة منه لا تطعمه، وذلك لان النّعام لا ترد الماءَ وَلَا تَطْعَمُه.[٤]

قال الأصمعي: في باب الأمثال في الطعام: "تَطَعَّم تَطعَم"، أي ذق الطعام فإنه يدعوك إلى الشهية.[٥]

---

(١) ابي حيان الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، ج٢ ، ص٥٨٦ .

(٢) النووي ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات)ج١٦،ص٣٠

(٣) خازم ، بشر بن أبي خازم ، ديوان بشر ، قدم له وشرحه مجيد طراد ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ،١٤١٥هـ ،١٩٩٤م ، ص ١٣٥ ، رقم البيت ١٨ و١٩ .

(٤) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٣، ص١٦

(٥) ابن سلام ، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، الامثال، تح: الدكتور عبد المجيد قطامش، الناشر: دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م، عدد الأجزاء: ١، ص٣٩٤

وفي الصحاح: ذق (حَتَّى) تستفيق، أَن (تَشْتَهِيَ فَتَأْكُلَ) . قال ابن بري: مَعْناه ذُقِ الطَّعام، فإنه يدعوك الى أكله ، قال: فهذا مثل لمن يحجم عن الأمر فيقال له: أدخل في أوله، يدعوك ذلك الى دخولك في آخره . (١)

ومما جاء في أشعارهم ما يقابل لفظ الطعم الإذاقة وذلك تجسد في قول الشاعر أبو العباس العَرْجِي (٢)

فإن شئتُ حَرّمْتُ النِّساءَ سِوَاكُمُ ... وإن شئت لم أَطْعَم نُقَاخًا ولا بَرْدًا(٣)

أراد: لم أذق. والنُّقَاخُ: الماءُ العَذْب (٤) البرد: النوم (٥)

وكذلك من شعر عنترة بن شداد الذي ورد آنفاً

فإذا ظلِمْتُ فإن ظلمى باسلٌ   مُرٌّ مذاقته كطعم العلقمِ

---

(١) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٣، ص ١٨

(٢) العرجي ، عبد الله بن عمر بن عبد الله العرجي، اسمه عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان (٠٠٠ - نحو ١٢٠ هـ = ٠٠٠ - نحو ٧٣٨ م) ، ونسب إلى العَرْج وهو موضع ولد به، كان ينزل بموضع قبل الطائف شاعر، غزل مطبوع، ينحو نحو عمر ابن أَبي ربيعة. كان مشغوفا باللهو والصيد. وكان من الأدباء الظرفاء الاسخياء، من الفرسان المعدودين. صحب مسلمة بن عبد الملك في وقائعه بأرض الروم، وأبلى معه البلاء الحسن. وهو من أهل مكة. ولقب بالعرجي لسكناه قرية " العرج " قرب الطائف. وسجنه والي مكة محمد بن هشام في تهمة دم مولى لعبد الله بن عمر، فلم يزل في السجن إلى أن مات. ينظر الاعلام ، للزركلي ، ج٤،ص١٠٩ و ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) ،الشعر والشعراء ،الناشر: دار الحديث، القاهرة ، عام النشر: ١٤٢٣ هـ ،عدد الأجزاء: ٢ ، ص٣٨١.

(٣) ديوان العرجي، ص١٠٩

(٤) ابن الانباري، أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ١، ج ١ ص٦٤

(٥) ابو طالب ، المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (ت: نحو ٢٩٠هـ)، الفاخر،تح: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي،ط١، ١٣٨٠ هـ، عدد الأجزاء: ١، ص١٧

نرى في بيت عنترة اقتران لفظ (مذاقته) مع لفظ (كطعم) مما يدل على الترابط أو التقارب بين اللفظين، والذي يتبين من خلال الآيات القرآنية وأقوال وأشعار العرب وجود ترابط وتقارب واشتراك في المعنى بين لفظ الذوق والطعم، حيث كما أن (التذوق) بداية للطعام القليل، كذلك هو (الطعم) هو القليل من الشئ سواء كان من الماء أو غيره.

المطلب الثالث

((المَس))

جاء في الصحاح اللمس: المسُ باليد ، وقد لَمَسَهُ يَلْمُسُهُ ويَلْمِسُهُ (١)

ففي الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ للمسرفين مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس١٢]

كما أن المس الاصابة اليسيرة القليلة من الضر ، كذلك الذوق بداية تذوق المطعوم .(٢)

ففي تاج العروس يأتي الذوق بمعنى المس مثل: وذاقَتها يَدِي، وذاقَتْ كَفِّي فُلانَةَ: إذا مَسَّتْها.(١)

(١) الجوهري، الصحاح في اللغة ، ج٣ ، ص١١٣

(٢) ابو السعود ، ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، ج٤، ص١٢٦

والذي يظهر من هذا أن هناك اشتراكاً في المعنى بين الذوق والمس كما أن الذوق يحتاج الى المماسة كذلك المَس يحتاج الى المماسة ،واستعمل الذوق في هذا الموضع لمعرفة خشونة أو نعومة شيء يدل الأختبار له ، وإلا فإن اليد أو الكف لا تذوق، وإنما قصد بتذوق الكف مسها مساً حسياً على وجه الحقيقة .

المطلب الرابع

((السَوْمّ))

قال ابن فارس: السين والواو والميم أصل يدل على طلب الشيء .[٢]

وجاء في مفردات غريب القرآن بأن السَّوْمُ أصله: الذّهاب في ابتغاء الشيء.[٣]

وقد ذكر المفسرون تفسير الاسامة بمعنى الإذاقة ، كما جاء في تفسير الطبري عند هذه الآية "﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ فإنه قال: يذيقونكم، يقال منه: "سامه خطة ضيم"، إذا أولاه ذلك وأذاقه، و ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ، أي يذيقونكم شديدَ العذاب و﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ ، مع إذاقتهم إياكم شديد العذاب ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾".[٤]

---

(١) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، ابو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، المتوفى ١٢٠٥ هـ، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية، ج٢٥ ،ص٣٢٨

(٢) ابن فارس ، مقاييس اللغة، ج٣، ص١١٨

(٣) الراغب ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١ – ١٤١٢ هـ، ج١، ص٤٣٨

(٤) الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن ، تح: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، ج٢، ص٤٠

ومثله جاء في معالم التنزيل: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يُكَلِّفُونَكُمْ وَيُذِيقُونَكُمْ[(١)] وكذلك ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم وأصله من سام السلعة يسوم سوما وسواما عرضها وذكر ثمنها.[(٢)]

وسوَّمه العذابَ: بالغ في إذلاله وتعذيبه " ﴿ يُسَوِّمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [ق :٤٩] [(٣)]

يظهر أن الذوق والسوم يشتركان في أصل المعنى، فالذائق يطلب بذوقه للشيء حلاوته أو مرارته مما يدعوه الى اشتهائه، كذلك السوم– كما ذكر اللغويون –: هو طلبُ الشيء وابتغاؤه وهذا هو ما يهمنا في هذا المطلب.

---

(١) البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ، تح: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م، ج١، ص٩٠

(٢) درويش ، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)، إعراب القرآن وبيانه، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) الطبعة: الرابعة ، ١٤١٥ هـ عدد المجلدات: ١٠، ج٥، ص١٥٦، ينظر، الزبيدي ،تاج العروس ج٢٠،ص٢٧٦-٢٧٧

(٣) عمر ، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٤، ج٢،ص١١٤٠

الفصل الثاني

صيغ الذوق وألفاظهُ في سياق القرآن الكريم

تمهيد :

سنتناول في هذا الفصل صيغ (الذوق) الواردة في القرآن الكريم وقد رتبتها حسب مرات ورودها فيه على خمسة مباحث وفي كل مبحث خصصت مطلباً لكل صيغة معتمدا على صيغ الأفعال(المضارع، الماضي، الامر) وحسب ترتيبها في المصحف.[1]

والذي يتبين لي أن جميع المواضع التي جاءت بها هذه الألفاظ خارجة عن دائرة المطعوم والمشروب، سوى مواضع قليلة جدا، وهي ثلاث آيات [2]

وهي في قوله تعالى: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾﴾ [١٢٢الأعراف]

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة ص–٥٧]

وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا﴿٢٤﴾﴾ [سورة النبأ–٢٤]

فقد جاءت في المطعوم والمشروب، ويعد هذا احصاء لما ورد من الآيات الكريمة وبعد استقرائها أجريت إحصاء لألفاظها وعدد ورودها كما مبين أدناه في الجدول:

---

(١) ينظر، عبدالعزيز بن صالح العمار، مجلة تبيان للدراسات القرآنية العدد(١٤) ١٤٣٤هـ ، (مقامات مادة الذوق في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية)٠

(٢) ينظر، ابراهيم عوض، التذوق الادبي ، دار المنار للطباعة ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ،٢٠٠٥م، ص١٠

ت	الصيغ	عدد مرات ورودها
١-	ذاقا	١
٢-	ذاقت	١
٣-	ذاقوا	٣
٤-	تذُقوا	١
٥-	يذوق	١
٦-	يذوقوا	٢
٧-	يذوقون	٢
٨-	يذوقوه	١
٩-	ذق	١
١٠-	ذوقوا	٢٢
١١-	فذوقوه	١
١٢-	أذاقها	١
١٣-	أذاقهم	٢
١٤-	أذقنا	٤
١٥-	أذقناك	١
١٦-	أذقناه	٢
١٧-	نذقه	٣
١٨-	فلنذيقن	١
١٩-	ولنذيقنهم	٢

٢٠-	نذيقه	١
٢١-	نذيقهم	٢
٢٢-	يُذيقَ	١
٢٣-	ليذيقكم	١
٢٤-	ليذيقهم	١
٢٥-	ذائقة	٣
٢٦-	ذائقوا	١
٢٧-	ذائقون	١

المبحث الأول

الصيغ الواردة مرة واحدة

المطلب الأول

صيغة الفعل المضارع

في هذا المطلب جاءت الألفاظ على صيغة الفعل المضارع وحيث وردت مرة واحدة بهذه الصيغة وعدد مرات ورودها في القرآن الكريم هي ثماني صيغ: -

١- صيغة (يذوق) حيث وردت مرة واحدة وذلك في قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة : ٩٥]

٢- صيغة (يُذيق) حيث وردت مرة واحدة وذلك في قوله تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة الانعام -٦٥]

٣- صيغة (تذوقوا) حيث وردت مرة واحدة وذلك في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾ [سورة النحل -٩٤]

٤- صيغة (نُذيقهُ) حيث وردت مرة واحدة وذلك في

قولـه تعالى: ﴿ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٩ ﴾ [الحج- ٩]

٥- صيغة (يذيقهم) حيث وردت مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى ((ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ۝٢١﴾ [سورة الروم- ٢١]

٦- صيغة (يُذيقكم) حيث وردت مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٤٦﴾ [سورة الروم – ٤٦]

٧- صيغة (يذوقوه) حيث وردت مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ۝٥٧ ﴾ [سورة ص-٥٨]

٨- صيغة (نذيقن) حيث وردت مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ [سورة فصلت – ٢٧]

المطلب الثاني

صيغة الفعل الماضي

في هذا المطلب جاءت الألفاظ على صيغة الفعل الماضي وحيث وردت مرة واحدة بهذه الصيغة وعدد مرات ورودها في القرآن الكريم هي أربع صيغ: -

١- صيغة (ذاقا) حيث وردت مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢﴾

[سورة الاعراف -٢٢]

٢- صيغة (أذاقها) حيث وردت مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾ [سورة النحل -١١٢]

٣- صيغة (أَذَقْنَاكَ) حيث وردت مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى:

﴿ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ٧٥﴾

[سورة الاسراء-٧٥]

٤- صيغة (ذاقت) حيث وردت مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ٩﴾ [سورة الطلاق - ٩]

المطلب الثالث

صيغة الفعل الأمر

في هذا المطلب جاءت الألفاظ على صيغة فعل الأمر وحيث وردت مرة واحدة بهذه الصيغة:

١- صيغة (فذوقوه) حيث وردت مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الانفال–١٤]

المبحث الثاني

الصيغ الواردة مرتين

المطلب الأول

صيغة الفعل المضارع

في هذا المطلب جاءت الألفاظ على صيغة الفعل المضارع وحيث وردت مرتين بهذه الصيغة وعدد مرات ورودها في القرآن الكريم هي ثمانية صيغ: -

١- صيغة (يذوقوا) حيث وردت مرتين في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ ﴾ [النساء –٥٦]، وقال تعالى: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨﴾ [ص -٨]

٢- صيغة (نذيقهم) حيث وردت مرتين في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾ [سورة يونس -٧٠]، وقال تعالى ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ١٦﴾ [سورة فصلت –١٦]

٣- صيغة (نذيقنهم) حيث وردت مرتين في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١﴾ [سورة السجدة –٢١]،

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة فصلت –٥٠]

٤- صيغة (يذوقون) حيث وردت مرتين في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾الدخان ٥٦] ، ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة النبأ –٢٤]

المطلب الثاني

صيغة الفعل الماضي

في هذا المطلب جاءت الألفاظ على صيغة الفعل الماضي وحيث وردت مرتين بهذه الصيغة وعدد مرات ورودها في القرآن الكريم هي أربع مرات بهذه الصيغ: -

١- صيغة (أذاقهم) وردت مرتين في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ سورة الروم-٣٣]، **وقال تعالى** ﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾ [سورة الزمر -٢٦]

٢- صيغة (أذقناه) حيث وردت مرتين في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠﴾[سورةهود -١٠]

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٠ ﴾ [سورة فصلت -٥٠]

المبحث الثالث

الصيغ الواردة ثلاث مرات

المطلب الأول

صيغة الفعل المضارع

في هذا المطلب جاءت الألفاظ على صيغة الفعل المضارع مرة واحدة وحيث وردت ثلاث مرات في القرآن الكريم: -

١- صيغة (نذقه) حيث وردت ثلاث مرات وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الحج-٢٥]، وقال تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًاۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة الفرقان -١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سورة سبأ -١٢]

المطلب الثاني

صيغة الفعل الماضي

في هذا المطلب جاءت الألفاظ على صيغة الفعل الماضي(ذاقوا) وحيث وردت مرة واحدة بهذه الصيغة وعدد مرات ورودها في القرآن الكريم هي ثلاث مرات: –

١– صيغة (ذاقوا) حيث وردت ثلاث مرات في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الانعام١٤٨]، وقال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة الحشر١٥]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة التغابن٥]

المبحث الرابع

الصيغ الواردة أربع مرات

صيغة الفعل الماضي

في هذا المطلب جاءت الألفاظ على صيغة الفعل الماضي وحيث وردت أربع مرات بهذه الصيغة في القرآن الكريم: –

١– صيغة (أذقنا) حيث وردت أربع مرات في القرآن الكريم وذلك في :

- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يونس ٢١]
- وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾ [هود –٩]
- وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الروم –٣٦]
- قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشورى –٤٨]

المبحث الخامس

الصيغ الواردة أكثر من ذلك

صيغة (ذوقوا) حيث وردت في القرآن الكريم بصيغة الأمر اثنتين وعشرين مرة :

- قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [ال عمران ١٠٦]
- قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ [ال عمران ١٨١]
- قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإنعام ٣٠]
- قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الاعراف ٣٩]
- قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنفال٣٥]
- قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنفال ٥٠]
- قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة ٣٥]

- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٥٢﴾ [يونس ٥٢]

- قال تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾ [الحج ٢٢]

- قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٥٥﴾ [العنكبوت ٥٥]

- قال تعالى: ﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ١٤﴾ [السجدة١٤] **وردت مرتين في الاية**

- قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠ ﴾ [السجدة ٢٠]

- قال تعالى: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ نَّفۡعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ٤٢ ﴾ [سبأ ٤٢]

- قال تعالى: ﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَ لَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ [فاطر ٣٧]

- قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٢٤﴾ [الزمر ٢٤]

- قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحقاف ٣٤]
- قال تعالى: ﴿ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الذاريات ١٤]
- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [القمر ٣٧]
- قال تعالى: ﴿ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [القمر ٣٩]
- قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [القمر ٤٨
- قال تعالى: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النبأ ٣٠]

الفصل الثالث

ألفاظ الذوق في معنى الرحمة والعذاب في الحياة الدنيا

المبحث الأول

ألفاظ الذوق في معنى الرحمة والنعيم

في الحياة الدنيا

ورد لفظ الذوق مقترناً مع الرحمة في الحياة الدنيا في ثماني آياتٍ ، تركزت ثلاثة منها في سورة الروم ، واثنتان في هود ، والباقي موزعة ، نوردها مرتبةً على ترتيب المصحف، ولنا معها مسائل تبين لنا المعاني المشتركة بين لفظ (الذوق) مع الرحمة وما لاقترانهما من فوائد وجمال وسبك وترابط وجزالة:

١. **قال تعالى** :﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يونس ٢١]

٢. **قال تعالى** :﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنسان مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾ [هود ٩]

٣. **قال تعالى** :﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ [هود ١٠]

٤. **قال تعالى** :﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الروم ٣٣]

٥. **قال تعالى** :﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الروم ٣٦]

٦. **قال تعالى**:﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الروم ٤٦]

٧. **قال تعالى** :﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [فصلت ٥٠]

٨. **قال تعالى** : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإنسان مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإنسان كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشورى ٤٨]

جاءت ألفاظ (الذوق) في الآيات القرآنية الكريمة لتحمل أغلب أنواع الرحمة والنعيم التي أنعمها الله تعالى على الإنسان، وتبين طبيعة النفس البشرية وخاصة في العهد المكي من نزول القرآن ولكن هذهِ الألفاظ بمعانيها تختلف حسب ورودها في السياق القرآني، بحسب أقوال المفسرين، فمرة جاء الذوق للرحمة بمعنى الغنى ومرة بالصحة ومرة بالمطر ومرة بالعافية وأخرى بالرخاء، فجميع المعاني في هذه الآيات لم تخرج عن كونها ما ينتفع به

الإنسان، ولكنها غالبا ما تكشف طبيعة نفس الإنسان وتقلبات أحواله إذا أصابته نعمة أو مسه سوء، وفيما يلي مسائل نتبين منها هذه المعاني:

المسألة الأولى: جاءت الآية الكريمة الأولى ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ۝٢١﴾ [يونس ٢١] تبين مدى مكر وخديعة الناس والمقصود بهم كفار قريش، و"(إذا) التي جاءت في بداية الآية تسمى بالفجائية" .(١)وذلك لمقابلة أذاقتهم رحمة الله وهي المطر والخصب والسعة، بعد ما قحطوا وجدبوا بالمكر والتكذيب، عندما كذبوا النبي محمد صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقحطوا وجدبوا، حتى أكلوا الميتة وأصبح أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع، فجاءوا يطلبون التماس الرحمة من النبي صلى الله عليه وسلم بأن يدعوا لهم، فلما دعا لهم ففرج الله تعالى عنهم بإنزال المطر على أراضيهم إذا هم يمكرون بآيات الله وقابلوا تلك النعمة بالكفران، ويمكرون بالطعن والاحتيال والاستهزاء والتكذيب بالآيات، قل الله أسرع مكرا، وجاء المكر من الله لاستدراجهم أو مقابلة لمكرهم، بأنهم نسبوا تلك الرحمة للنجوم والأصنام، فبمجرد أذاقتهم الرحمة تبادر منهم الكفر والعصيان. (٢)

---

(١) صافي ، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ)، الجدول في إعراب القرآن الكريم، الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ٣١ (٣٠ ومجلد فهارس) في ١٦ مجلدا، ج١١، ص١٠٠

(٢) ينظر: الزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية ، ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠، ج١١ص١٤١-١٤٤

والإذاقة مستعملةٌ في مطلق الإدراك استعارةً.(١) والرحمةُ مطلقةٌ على أثر الرحمة وهو النعمة والنفع، والمس مستعمل في الإصابة. (٢)

المسألة الثانية: ورد لفظ الإنسان في الآية من قوله **تعالى** :﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنسان مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۝٩ ﴾ [هود ٩] وفي **قوله تعالى** :﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ۝١٠﴾ [هود ١٠] من سورة هود معرفاً بـ (ال) دالاً على عموم جنس الإنسان مؤمنهم وكافرهم، ويدل على ذلك مجيء أداة الاستثناء بعد الآيتين في قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [هود_١١]، ويوافقه في ذلك من سورة العصر قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [العصر -٣] هذا على قول، أما القول الآخر أريد بالإنسان هو الكافر، لأن الصفات المذكورة في الآية من يأس وقنوط، وكفور من الكفر لاتليق إلا بالكافر، فـ (ال) في الإنسان إما للجنس أو للعهد الذكر . (٣)

فجاءت لفظة الإذاقة لتدل على إذاقتهم أقل القليل من الرحمة المشتملة على المطر أو الصحة أو الأموال والأولاد فيبادر هذا الكافر بالطغيان والتمرد، وبمقابل ذلك إذا أصابهم القليل من المحن والابتلاء تراه ييأس ويقنط، فكل ما حصل للإنسان ووقع به فهو قليل، لأن الدنيا كلها

(١) ينظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج١١، ص١٣٢
(٢) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١١، ص١٣٣
(٣) الشهاب ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، حاشية الشهاب على البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار النشر: دار صادر – بيروت،عدد الأجزاء: ج٥، ص٧٦

قليلة في دوامها وزوالها، فالإذاقة من ذلك قليل فهي أشبه بالنائم الذي يرى الرؤيا، فسرعان ما ينقضي ذلك الحلم، ومع تلك القلة فترى الإنسان سرعان ما يجزع ويتضجر ولا يتحمل، فهكذا أحوال الدنيا في تغير وزوال، فالكافر بمجرد زوال النعمة يأتيه القنوط واليأس، وأما المؤمن فيعلم أن كلا الأمرين من نعمة وضراء هي من الله، فإذا أصابته ضراء، فإنه يتلقى الأمر بالقبول ويقول لعل الله أن يرد عليه تلك النعمة بأفضل مما كنت عليه. (١)

المسألة الثالثة: بتأمل آخر في تراكيب الآيات نجد أن الله تبارك وتعالى أسند الرحمة الى ذاته العلية ليعلمنا أن الرحمة منه سبحانه وتعالى من باب قوله صلى الله عليه وسلم (والخير كله في يديك) فهي تأديب للناس لأن إسداء الرحمة والنعماء من الله، ولا أحد قادر على أن يأتي بها غيره سبحانه وتعالى، وعند إلقاء النظر في سياق الآيات نرى أن ما يصيب الإنسان من ضراء وسوءٍ ومصائب فهي من ذنوب الإنسان من باب قوله تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى –٣٠] وقوله صلى الله عليه ((والشر ليس إليك))(٢) فهي تربي الإنسان على حسن الظن بالله إذ لا يريد الله به إلا الخير .(٣)

---

(١) ينظر، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ، ج١٧، ص٣٢١

(٢) مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج١، ص٥٣٤ برقم ٧٧١ جزء من حديث

(٣) ينظر أبو السعود ، ارشاد العقل السليم ج٤ص١٣٣، البقاعي ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، عدد الأجزاء: ٢٢ ، ج١٥، ص٩٢، و عبدالعزيز العمار ، مقامات مادة الذوق ، ص٢١٩

المسألة الرابعة: وفي الآيتين نفسها من سورة هود تفريق بين فعلي الرحمة والنعماء وبين الإصابة بالضراء، ففي جانب الرحمة ورد فعل الإذاقة، وفي جانب الضراء ورد فعل المس، وسبب التفريق بينهما – أذقناه ومسته – " تنبيه على أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالأنموذج لما يجده في الآخرة، وأنه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء لأن الذوق إدراك الطعم والمس مبتدأ الوصول".(١) والتفريقُ في الإسناد في الفعلين أذقنا ومسته إذ لم يقل مسسناه بالإسناد إلى ضمير المتكلم كما في أذقنا للدلالة على أن مس الضر ليس مقصود بالذات إنما وقع بالعرض بخلاف إذاقة النعماء . (٢)

وفي قوله تعالى(منا ومنه) دليل على أن نزع الرحمة بسبب شؤمه من الخير، وسوء صنيعه وقبيح فعله كما قال تعالى: ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [سورة النساء، ٧٩].(٣)

وثمة ملحظٌ آخر يبين لنا أن إذاقتهم الرحمة أصلٌ ، لما في هذا على دلالة الخير من الله تعالى ، والمس عرضٌ، والرحمةَ سابقة، والمس لاحقٌ، وتغليب جانب الرحمة حيث بدأ في الأول بإعطاء النعمة، وإذاقة الرحمة، ولم يبدأ في الثاني بإذاقة الضرّ . (٤)

المسألة الخامسة: تبين الآيات القرآنية التي في سورة الروم عن صورة حقيقية لتقلب النفس البشرية التي تكمن في جسد هذا الإنسان الذي لايستمد إيمانه من مبادئ ثابتة، ولا تسير على

---

(١) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط١ – ١٤١٨ هـ، ج٣، ص١٢٩

(٢) شهاب الدين ، حاشية الشهاب ،ج٥،ص٧٧

(٣) بتصرف ،شهاب الدين ، حاشية الشهاب ،ج٥،ص٧٧

(٤) بتصرف ، شهاب الدين، حاشية الشهاب، ج٥ ،ص٧٦

نهج رباني، ولا تتطلع الى النور الالهي، تلك النفس التي لا ترى الحق ولا تبصره، إلا إذا احتاجته ووقعت في ضُرٌّ وشدة وعوز، تراها تتلهف لذلك النور، بعد أن أيقنت أنه لا نجاة ولا منجا إلا بالالتجاء الى الله، ولكن هذه النفس سرعان ما تتكشف وترجع على حقيقتها فبمجرد أن أذاقها الله تبارك وتعالى رحمة منه، بانفراج الشدة وزوال الكرب، فتأتي المفاجئة ﴿ إذا فريقٌ مِـنْهُمْ بربهم يشركون﴾ وهذا الفريق الذي لا يستند الى عقيدة صحيحة سليمة، فقابلوا النعمة بالكفران والإحسان بالإساءة، فهذا الفريق ومن شاكلهم توعدهم الله تعالى بعقابٍ اليم. (١)

أما قوله تعالى ﴿ فَرِحُوا بِهَا ﴾ الفرح المقصود بهذه الآية هو فرح البطر، إذ الفرح قسمان ؛فرح بطر يؤدي الى الأشر والاستكبار عن الحق والتعالي على الخلق وهذا هو المذموم ، والنوع الثاني هو فرح شكرٍ، فرحاً بنعمة الله يحمله على تذكر النعمة، فهذا ليس بمذموم بل هو من طبيعة الإنسان قال تعالى ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٌ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝ ﴾ [يونس٥٨]. (٢)

واللام في قوله تعالى﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ هي لام العاقبة فيكون المعنى أن الله سبحانه وتعالى قد يجعل النعم سبباً للكفر، ويكون الكفرُ عاقبة لها أي (النعم). (٣)

وقيل فهي لام أمر فيه معنى التهديد، كما في قوله تعالى ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾. (٤)

---

(١) ينظر: سيد قطب،إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، في ظلال القرآن، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ، ج٥ ،ص٢٢٧٠

(٢) ينظر، محمد صالح العثيمين ، الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين، ج٩،ص١٢٦

(٣) ينظر ، ابن عثيمين ، محمد صالح العثيمين ،الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين ،ج٩،ص١٣٣

(٤) ينظر ،الزجاج ، معاني القرآن وأعرابه، ج٤، ص١٨٥

المسألة السادسة: أما في الآية الثالثة من سورة الروم مجيء لفظ(الذوق) مع لفظ (الرياح) إشارة واضحة الى تعدد نعم الله على المؤمنين فقوله تعالى﴿ من آياته﴾ تدل على الكثرة، فالآيات كثيرة ولكن خص الله منها هذه النعمة وهي نعمة إرسال الرياح على عباده المؤمنين قال سبحانه وتعالى ﴿ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّـرَٰتٍ ﴾ فمجيء الرياح بصيغة الجمع دلالة على التعدد والتنوع، فهذه الرِّياحَ هي الجنوب والشمال والصبا، وهي رياح الرحمة.[١]

و﴿مبشرات﴾ حال منصوبة .[٢] أي كون هذه الرياح حالها فيها البشارة وعكس الدبور، فهي ريح العذاب وفي مسند الإمام أحمد- عن أبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ))[٣] ، والدبور هي الرياح الحارة التي لا تكون إلا في القيظ وهي مهياف، وقيل تقشع السحاب، وقيل هي أخبث الرياح لا تلقح شجرا ولا تنشأ سحاباً[٤]، لأن المتعارف على لفظ الرياح أنها للخير ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (اللهمّ اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا).[٥]

---

(١) ينظر، الزمخشري، الكشاف، ج٣،ص٤٨٤

(٢) صافي، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ)، الجدول في إعراب القرآن الكريم، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ٣١ (٣٠ ومجلد فهارس) في ١٦ مجلدا، ج٢١،ص٥٦

(٣) ابن حنبل ،أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ،مسند الإمام أحمد بن حنبل،المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي،الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ،ج٥ ص١٢٧برقم ٢٩٨٢

(٤) النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: ٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٢، ج ١،ص٣١٢.

(٥) الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المسند، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ،عام النشر: ١٤٠٠ هـ، ج١،ص٨١.

قال أبو منصور الثعالبى: لم يأت لفظ الريح في القرآن إلا في الشر، والرياح إلا فى الخير، قال الله عز وجل: ﴿ وَفِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الذاريات ٤١، ٤٢]. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القمر ١٩، ٢٠].وقال جل جلاله: ﴿ وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ ﴾ [الأعراف ٥٧].

وقال: ﴿ وَمِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِىَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الروم ٤٦].[١]

ووصفت الريح مفردة بالطيبة في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنْجاهُمْ إِذا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يونس ٢٢، ٢٣]؛ لتقابل ريح الشر، ولأن إفراد الريح مع السفن هو الرحمة بها، ولو أنها جمعت، فقد يدل الجمع على مجيء الريح من مهاب متعددة، وفي ذلك دمار لها.[٢]

(١) البدوي ، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ) ،من بلاغة القرآن،الناشر: نهضه مصر – القاهرة، عام النشر: ٢٠٠٥م، ج١، ص١٠٩

(٢) البدوي ، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ) ،من بلاغة القرآن،الناشر: نهضه مصر – القاهرة، عام النشر: ٢٠٠٥م، ج١، ص١٠٩

قال المبرد فإن العرب تقول: لا تلقح السحاب إلا من رياح. وتصديق ذلك قول الله عز وجل: ﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا﴾ [1] وكذلك في قوله تعالى﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ [الحجر- ٢٢]

وقد عدد الأغراض من إرسالها، أنها بشارة، أي قبل نزول المطر، ولذلك ترى مجيء لفظ ﴿ وَلِيُذِيقَكُمْ ﴾ بعد البشارة لتؤكد وقوع الرحمة فهي حاصلة ونائلة للمؤمنين، ومن أغراضها ؛ إصلاح الهواء، وإثارة السحاب، وجريان الفلك، وكل هذه النعم جاء ليعبر عنها بقوله ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ فخاطب هاهنا تشريفا للمؤمنين وَلِأَنَّ رَحْمَتَ الله قريب مِن المحسنين، فالمحسن بإحسانه قريب من الله فيخاطب باسلوب القريب، ومجيء لفظ ﴿ وَلِيُذِيقَكُمْ ﴾ بصيغة المضارع ليدل على تجدد واستمرار هذه الرحمة، وأشار الرازي إلى هذا السر في لفظ (الذوق) بقوله (وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الإذاقة تُقَالُ فِي الْقَلِيلِ، وَلَمَّا كَانَ أَمْرُ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَرَاحَتُهَا نَزْرٌ قَالَ: وَلِيُذِيقَكُمْ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَيَرْزُقُهُمْ وَيُوَسِّعُ عَلَيْهِمْ وَيُدِيمُ لَهُمْ).[2]

وكما أن الذوق مقدمة للطعام، والاستمتاع به، وكما أن المطر بداية المنافع، كذلك الرياح بداية يستبشر بها الناس للخير[3]

وأما لفظ الريح للعذاب وذلك في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا عَاد فَأُهلِكُواْ بِرِيح صَرصَرٍ عَاتِيَة ۝٦﴾ [سورة الحاقة -٦]

---

(١) المبرد، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ، ج٢، ص٥٤

(٢) ينظر ، الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٥ ، ص١٠٧

(٣) ينظر ، العمار ، عبدالعزيز العمار ،مقامات مادة الذوق، ص١٧٨

ولعل السبب في ذلك أن ريح الشر، تهب مدمرة عاصفة، لا تهدأ، ولا تدع الناس يهدءون، فهى لاستمرارها ريح واحدة، لا يشعر الناس فيها بتحول ولا تغير، ولا يحسون بهدوء يلم بها، فهى متصلة في عصفها وشدة تحطيمها، وذلك مصدر الرهبة منها والفزع، أما الرياح التى تحمل الخير فتهب حينا، وتهدأ حينا، لتسمح للسحب أن تمطر، فهى متقطعة تهب في هدوء، ويشعر المرء فيها بفترات سكون، وأنها رياح متتابعة، ففي تعبير القرآن تصوير للإحساس النفسى.[١]

وورد في الحديث قال صلى عليه وسلم ((الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب ولا تسبوها ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا الله من شرها)).[٢]

المسألة السابعة: أما الآية التي في سورة فصلت فيبين الله تعالى في هذه الآية تقلب النفس البشرية وأنها بمجرد أن يؤتيها الله سبحانه وتعالى خيرا من تفريج الكربات، بعد شدة أصابته، كصحة وعافية بعد مرض، أو غنى بعد فقر، فسرعان ما يسدي هذا الفضل والاستحقاق لنفسه، بقوله (هذا لي) ويقول إنما حصلت على هذا المال بعملي وخبرتي ومجهودي، متغافلاً ، ومتناسياً فضل الله عليه، ولم يعلم بأن الله تعالى قد جعل الابتلاء في جانبي الخير والشر، فكلاهما ابتلاء، وليعلم الله الشاكر من الجاحد، ومستبعدا قيام الساعة، منكرا لها مكذبا بها، ولئن كان هناك معاد كما يدعي الانبياء، على فرض صدقهم سيؤتيني ربي في الآخرة كما آتاني في الدنيا، سأنال الحسنى أي الجنة، وفي هذه الآية إشارة إلى تيقن الكافر لحصول هذه الأمور معه من جوانب كما إلى ذلك حصول التوكيد بإن – ومجئ كلمة لي أيضا تقيد التوكيد، وقول الكافر عندهُ أي

---

(١) البدوي ،أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ)، من بلاغة القرآن، الناشر: نهضه مصر – القاهرة، عام النشر: ٢٠٠٥ج١، ص١٠٩

(٢) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) ، سنن ابن ماجه،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي
عدد الأجزاء: ٢، ، ، ج ٢،ص١٢٢٨برقم ٢٧٣٧، باب النهي عن سب الريح.

حاضرة مهيأة، وكذلك لام للحُسنى للتأكيد أيضا، للحسنى تفيد كمال الحسن، فرد الله عليه بنقيض ما يتوقع، موبخاً إياه ومتوعدا له بإذاقته بعذاب كبير شديد لايمكنهم الخلاص منه وهو جهنم . [١]

المسألة الثامنة: أما الآية التي في سورة الشورى من قوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإنسان مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإنسان كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ ففي الآية بيان لحقيقة وطبيعة النفس البشرية التي تحمل في طياتها الغرور والبطر وهي بمجرد أن تذوق وتنعم بأقل نعمة من نعم الدنيا فإنها تفرح وتبادر الى ارتكاب المعاصي والذنوب، وتظن أنها بهذا اليسير الذي ظفرت به قد حققت وفازت بكل مطلوب ونالت كل مأمول، وما هو في الحقيقة إلا كقطرة من بحر، فجاء التعبير القرآني بلفظة واحدة ليعبر بها عن هذا الموقف، وليثبت ما هذه الرحمة إلا شيء قليل جداً، حقير لا قيمة له مقابل نعيم الآخرة، فعبر بلفظ (أذقنا) وهو بداية شيء قليل، لا يكاد يكون سوى ما يذوقه الطاعم ليعرف طعم الطعام، فاختصر القرآن الكريم كل هذه المراحل بهذه اللفظة، وهذا بيان حقيقة الكافر، الذي يركن الدنيا، ويطمئن بأقل وأفقر أحوال نعيمها، بخلاف المؤمن الذي لا يعد نعم الدنيا إلا وسيلة لبلوغ نعيم الآخرة، ثم بين حقيقة طبيعة الكافر، إذا ما أصابه ما يكرهه ويسوءه في حاله، من مرض أو فقر فتراه يسارع للكفر، وجاءت لفظة كفور بهذه الصيغة لتدل على المبالغة في هذا الامر، وهذا معنى قوله تعالى فإن الإنسان كفور، ويذكر صاحب البرهان في هذه الآية ﴿ إِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإنسان مِنَّا رحمة فرح بها ﴾

---

(١) ينظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية ، ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠، ج٢٥، ص١٢

ثم قال:﴿ فإن الإنســان كفـور﴾ ولم يقل " فَإِنَّهُ" مبالغة في إثبات أن هذا الجنس شأنه كفران النعم. [1]

كذلك لما ذكر الله تعالى إذاقته الرحمة والإصابة بضدها، بين حقيقة الملكية أنها لله تعالى، حتى لا يغتر الإنسان بما ملكه من مال وجاه، بل إذا أستيقن أن الكل ملك الله، وأنه إنما حصل ذلك القدر بفضل الله، فيكون ذلك دافعاً له إلى مزيد من الطاعة، وأما إن اعتقد خلاف ذلك بأن كل ما حصل عليه راجع الى حسن تصرف وتدبير واجتهاد، زاده ذلك على مزيد من الغرور والإعراض عن طاعة الله عزوجل [2]

وبعد الوقوف مع كل الآيات التي تحمل لفظ الإذاقة للرحمة، وكلاً على حدة وتعرفنا فيها على شيء من التفصيل، عرفنا أن لفظ إذاقة الرحمة تحمل معاني كثيرة في طياتها، كما ذكرنا آنفاً، كذلك انكشفت لنا حقائق كثير من النفوس البشرية التي تحمل بين جنباتها الغرور والبطر فمثلاً نفس الكافر والمنافق نفس متقلبة غير مستقرة، مطمئنة الى الدنيا، يصيبها الغرور والكبر، بمجرد إذاقتها للرحمة، بخلاف نفس المؤمن، راضية بما قدر الله لها، كل هذا من جانب.

ولكن إذا جمعنا آيات الرحمة في صفحة واحدة وألقينا اليها نظرة متأمل ومتفكر، لسياق هذه الآيات لبرزت عندنا بعض المعاني المشتركة بينها مع مجيء معنىً آخر في كل سياق، ولا بد لنا من وقفات معها، فأبرز هذه المعاني المشتركة هي:

---

(١) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، ٦، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، عدد الاجزاء ٤، ج٢، ص٤٩٥

(٢) ينظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج٢٧،ص٦٠٩

- تنكير كلمة (رحمة) لتدل على عموم رحمة الله بالناس وشمولها لأحوالهم ودوامها عليهم، إضافة الى ذلك مجيئها في(سياق الشرط والقاعدة الأصولية المعلومة ان النكرة في سياق الشرط تفيد العموم)(١)

- قسم من الآيات سبقتها أداة الشرط (إذا) والقسم الآخر سبقتها (لئن)، جيء بإذا في جانب الرحمة للإشارة إلى أن إذاقة الناس قدرا قليلا من الرحمة أمر مقطوع به، ولإفادة هذا المعنى نكرت الرحمة لتفيد التقليل، فيكون التقليل أقرب إلى القطع بالوقوع، وقال: ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، فأفاد أن إصابة السيئة لهم أمر غير مقطوع به، وأن الله لا يؤاخذهم دائما بما قدمت أيديهم، ولكنه يعفو عن كثير.(٢)

ويظهر لنا تركيب (إذا) الفجائية مع الإذاقة وتنكير الرحمة للإشارة إلى أن إذاقة الناسِ قدراً قليلاً من الرحمة أمرٌ مقطوع به، وجعلها السكاكي للتنويع. (٣)

- ورود كلمتي (الناس) و(الإنسان) معرفتين بـ (ال) الدالة على الاستغراق والجنسية للتعميم والشمول . (٤)

---

(١) السعدي ، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، القواعد الحسان لتفسير القرآن، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١، ص١٦

(٢) أبو موسى، محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة، عدد الأجزاء: ١، ص٣٢٣

(٣) ينظر السكاكي ، مفتاح العلوم ص ٢٤١وأبو موسى ، خصائص التراكيب ٣٢٢ ، وقادر ، محمود كريم قادر ،رسالة ماجستير بعنوان(أبنية التراكيب المعبرة عن الاحداث ودلالاتها في سورة الروم) ، ص١٧٠

(٤) المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ) ، الجنى الداني في حروف المعاني تح: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء:١ ، ص١٩٣

• ورود كلمة الذوق بهذه الصيغة، فالإذاقة: مستعارة للإصابة ؛لتبيين أنهم بمجرد ذوقهم رحمة الله يُسارعون الى الكفر والحالة أنهم ذاقوا رحمة قليلة فسارعوا إلى الكفر فكيف إذا أصابتهم الرحمة الكثيرة، فالذوق كما قال ابن عاشور: إصابة المطعوم بطرف اللسان وهي أضعف إصابات الاعضاء للأجسام فهي أقل من المضغ والبلع. (١)

• ورود كلمة المس مع الضُر بمعنى أن الضر الذي يصيبهم قليلٌ مقارنة برحمة الله لأن المس حَقِيقَتةُ: أنه وضع اليد على شيء ليعرف وجوده أو يعرف حاله أو يختبر واختير هنا لما يستلزمه من خفة الإصابة، أي يدعون الله إذا أصابهم خفيف ضر بله الضر الشديد.

• الفرق بين الضُرّ والضر: أن الضر خلاف النفع ويكون حسنا وقبيحا فالقبيح الظلم وما بسبيله، والحسن شرب الدواء المر رجاء العافية، والضر بالضم الهزال وسوء الحال ورجل مضرور سئ الحال، ومن وجه آخر أن الضر أبلغ من الضرر لان الضرر يجري على ضره يضره ضرا فيقع على أقل قليل الفعل لأنه مصدر جار على فعله كالصفة الجارية على الفعل، والضر بالضم كالصفة المعدولة للمبالغة(٢)

• ورود كلمة الإصابة مع السيئة مما يدل على أن ما أصابهم بسبب ذنوبهم وبما قدمت ايديهم.

---

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ،ج٢١، ص٩٧

(٢) العسكري، حسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحي بن مهران ابو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب ابي هلال العسكري وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري ،تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، تنظيم: الشيخ بيت الله بيات ومؤسسة النشر الاسلامي، التاريخ: شوال المكرم ١٤١٢، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ج ١ ، ص٣٢٨

• يلاحظ أن الرحمة منسوبةٌ الى الله تعالى بمعنى أنه سبحانه هو منزلها عليهم من غير سبب وأن الضرَ والإصابة بالسيئة بما قدمت ايديهم .

• ورود أفعال الذوق مع الرحمة بصيغة الماضي جميعها إلا آية واحدة، ما يدل على تحقق وقوع الرحمة التي هي إحدى دلالات الفعل الماضي . (١)

أما آية الروم فجاءت بصيغة المضارع تناسباً مع الفعل الذي قبلها ولاستحضار صورة تنزل الرحمة وهو أدعى للتأمل فيها. (٢)

• جميع آيات الذوق في مقام الرحمة جاء فاعلها ضميراً ولم يأت اسما صريحاً.

• ورود (إذا) في سياق هذه الآيات وهي أداة شرط تدل على تحقيق وقوع الرحمة، وبالمقابل ورود (إن) في سياق الإصابة وهذا الفرق الكائن في أصل الدلالة كما ترى، هو الذي تتفرع عنه الدلالات البلاغية لهاتين الأداتين، ويظهر ذلك في قوله –تعالى–: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴾ [الاعراف_١٣١]، فإنه لما كان مجيء الحسنة أمرا مقطوعا به جيء بلفظ إذا، عرفت الحسنة تعريف الجنس ليشتمل كل ما هو من

(١) ينظر: المؤيد بالله، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت: ٧٤٥هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت ،ط١، ١٤٢٣هـ،
(٢) ينظر ،محمود كريم قادر ، رسالة ماجستير (أبنية التراكيب المعبرة عن الاحداث ودلالاتها في سورة الروم) ،ص١٧٧ سان

جنس الحسنات، وشأن هذا أن يقع كثيرا، وذكر لفظ "إن" مع إصابة السيئة؛ لأن إصابة السيئة نادرة بالنسبة لإصابة الحسنة، وقد نكرت السيئة لإفادة التقليل، فأشارت إلى هذه الندرة. [(١)]

ومثله قوله –تعالى–: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم_ ٣٦]، جيء بـ (إذا) في جانب الرحمة للإشارة إلى أن إذاقة الناس قدرا قليلا من الرحمة أمر مقطوع به، ولإفادة هذا المعنى نكرت الرحمة لتفيد التقليل، فيكون التقليل أقرب إلى القطع بالوقوع، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾، فأفاد أن إصابة السيئة لهم أمر غير مقطوع به، وأن الله لا يؤاخذهم دائما بما قدمت أيديهم، ولكنه يعفو عن كثير. [(٢)]

أما قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ﴾، جيء فيه بلفظ: "إذا" مع الضر، وهذا بخلاف الطريقة في الآيتين السابقتين وذلك؛ لأنه ذكر هنا لفظ المس والمس أقل من الإصابة، ونكر الضر ليفيد قدرا يسيرا من الضر، وذكر لفظ الناس المستحقين أن يلحقهم كل ضر، والحديث عن الناس الذين إذا مسهم الضر دعوا ربهم منيبين إليه، وإذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون، فكان في هذا إشارة إلى أن مس قدر يسير من الضر لأمثال هؤلاء، حقه أن يكون في حكم المقطوع[(٣)]

---

(١) ينظر: ابو موسى ، خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، ص٣٢٣ وابن عاشور ، التحرير والتنوير ،ج٢١ ،ص٩٦

(٢) نفس المصدر السابق

(٣) ينظر، ابوموسى، خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، ص٣٢٣ وابن عاشور ، التحرير والتنوير ،ج٢١ ،ص٩٦

- الانسان بطبعه لا يسأم من دعاء الخير وبالمقابل إذا مسه الشر قنط ويئس من رحمة الله تعالى .
- القنوط مذموم في شريعتنا ، خُلق البطر بالنعمة والغفلة عن شكر الله عليها ، واليأس من رجوع النعمة عند فقدها ، خلقين مذمومين .
- اقتران شرط مس الشر بـ (إن) التي من شأنها أن تدخل على النادر وقوعه فإن إصابة الشر الإنسان نادرة بالنسبة لما هو مغمور به من النعم.
- صيغة المبالغة في (فيؤس)، إتباع يؤس ب(قنوط) الذي هو تجاوز إحساس اليأس إلى ظاهر البدن بالانكسار، وهو من شدة يأسه، فحصلت مبالغتان في التعبير عن يأسه بأنه اعتقاد في ضميره وانفعال في سحناته ، فالمشرك يتأصل فيه هذا الخلق ويتزايد باستمرار الزمان ، والمؤمن لا تزال تربية الإيمان تكفه عن هذا الخلق حتى يزول منه أو يكاد.
- نسيان الإنسان إذا زال عنه كربه وعادت إليه النعمة ، ما كان فيه من الشدة ولم يتفكر في لطف الله به فبطر النعمة، وقال: قد استرجعت خيراتي بحيلتي وتدبيري. [١]

(١) ينظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير،ج٢٥،ص١١

المبحث الثاني

ألفاظ الذوق في معنى العقوبة والعذاب

في إهلاك الأمم والأقوام في الحياة الدنيا

تمهيد :

جاءت أغلب الفاظ الذوق في القرآن الكريم بمعنى العقوبة والعذاب والهلاك في الدنيا والآخرة ولكن جاءت في هذه الآيات لتختص بالحياة الدنيا ، دون سائر الآيات ، في ثلاثة عشر موضعا، وكل لفظة من هذه الألفاظ تبين نوع العذاب الذي استحقوه بحسب نوع ذلك الجرم الذي فعلوه وقد مثله سياق الآيات القرآنية ، ولفظ (الذوق) كان أغلبه مقترناً بـ (وبال) في الآيات التي تختص بالحياة الدنيا.

وبعد استقراء الآيات نجد أنها وردت في أربعة مواضع من القرآن، كلها جاءت تعبر عن عقوبات بسبب اعمال ارتكبوها في حياتهم، أما الآيات الاخرى فمنها نجد آيتين اقتران الذوق مع البأس وآية واحدة اقترن الذوق مع عذاب الخزي وآية واحدة اقترن لفظ (الذوق) مع العمل، وهذا سرد للآيات حسب ترتيب المصحف ، وسأقف مع كل آية من الآيات للتعرف من خلال السياق القرآني على الحِكم والسبك والمواضيع التي من أجلها سيقت هذه الألفاظ وما تحمل في طياتها من أمور :

١- قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ

عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة –٩٥].

٢- قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾[الأنعام– ٦٥]

٣- قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأنعام–١٤٨]

٤- قال تعالى : ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ [النحل -٩٤]

٥- قال تعالى : ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل-١١٢]

٦- ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم– ٤١]

٧- قال تعالى ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [السجدة–٢١]

٨- قال تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزمر-٢٦]

٩- قال تعالى : ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [فصلت –١٦]

١٠- **قال تعالى** :﴿ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [القمر]

١١- قال تعالى ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحشر –١٥]

١٢- قال تعالى﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [التغابن–٥]

١٣- قال تعالى﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الطلاق٨–١٠]

الملاحظ في هذه الآيات يرى اقتران لفظ الذوق مع الوبال في أغلب مواضعها مما يعطينا طابعا عن أن هذه الآيات ذكرت العقوبة الدنيوية، مع تعليل هذه العقوبة، وسأتناول الآية الأولى في الفصل الخامس إن شاء الله، وذلك لما فيها من تعلق بالأحكام الشرعية، حيث أفردتها في مطلب خاص ، أما الآيات الاخرى فإن ذكر سببها يدل على مجيئ أغلبها أفعال (الذوق) بصيغة الماضي لبيان أن العقوبة وقعت بعد وقوع سببها، كما أشرنا آنفا ،والقسم الآخر بصيغة المضارع لتدل على التجدد والاستمرار والقسم الباقي

في لفظ الذوق من التوعد والتهديد، وهذه بعض المسائل أبين فيها الأسباب والحكم والمواضيع التي تحمل في طياتها مقترنةً مع لفظ (الذوق):

المسألة الاولى : الاية في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام– ٦٥]

ناسبت ما قبلها حيث أن المشركين لما كانوا في كربٍ شديد وبأمس الحاجة لمن ينقذهم من المحنة التي وقعوا بها ،في ظلمات البر والبحر ، ما كان لهم إلا أن يدعوا الله لئن أنجيتنا لنكونن ممن يشكرك يا رب، ولكن بنجاتهم إذا هم بربهم يُشركون، ظانين أن الشدة زالت عنهم زوالاً لا يعود. (١)

فجاءت الآية التي بعدها تتحدث عن إمكانية وقدرة الله تعالى على إصابتهم بالعذاب ،وهو نوع آخر من أنواع العذاب وهو إذاقة البأس وهي الشدة في الحياة من قتل وأسر وتفكك ومجيء عذاباً مقترناً بالتنوين ، للتفخيم والتعظيم للعذاب، أي عذاباً عظيماً لما في الأمر من التهويل والمبالغة في التحذير، وقرئ (يذيق) بنون العظمة (نذيقَ) ليكون أوقع وأكثر تأثيراً في نفس الكافر . (٢)

وفي هذا توبيخٌ لهم لأنه مع علمهم بأنه لم ينجهم سواه سبحانه وتعالى أشركوا ولم يخصوا الله تعالى وحده بالعبادة . (٣)

---

(١) ينظر ، البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،ج٧ ،ص٨٩

(٢) ينظر، الالوسي ، روح المعاني ،ج٤،ص١٧١

(٣) ينظر ، الالوسي ، روح المعاني ،ج٤،ص٧٠

و ﴿ يُلْبِسَكُمْ ﴾ بضم الياء من اللبس، استعارة من اللباس؛ أي: يلبسكم الفتنة حالة كونكم شيعًا. [١] و من "لَبَسَ" "يَلْبِسُ" "لَبْساً" . [٢] أي يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق. [٣]

واللباس دليل الإحاطة من كل جانب كما مر معنا آنفاً، وابتداء الآية بـ (قل) دلالة على ضعفهم ، واستجابته لضراعتهم وفيه فضل تنبيه في بيان سمو المقام المحمدي _ صلى الله عليه وسلم _أنه هو الصلة بينهم وبين ربهم وأنه هو الذي يخاطبهم ، وهو المنذر بالعذاب الشديد. [٤]

وفي هذه الاية من قوله تعالى ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ ﴾" تصوير مؤثر للعذاب الذى يذوقه الناس بحواسهم إذ يجعلهم – سبحانه – شيعا وأحزابا غير منعزل بعضها عن بعض ، فهي أبدا فى جدال وصراع وفى خصومة ونزاع ، وفى بلاء يصبه هذا الفريق على ذاك ، وذلك أشنع ما تصاب به الجماعة فيأكل بعضها بعضا." [٥]

المسألة الثانية : أما الآية من سورة الأنعام في قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ (١٤٨) ﴾ [الأنعام-١٤٨]

---

(١) الهرري ، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي،الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م،عدد الأجزاء: ٣٣ ،ج٨،ص٣٨٥

(٢)الأخفش ، معاني القراء ، ج١،ص٣٠٢

(٣) الكرماني ،غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج١، ص٣٦٤

(٤) ينظر ابي زهرة ، زهرة التفاسير ،ج٢٥، ص٣٤٢٥

(٥) سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط،ج٥، ص٩٧

بداية الآية تشير إلى أن المشركين سيقولون ويدعون أن ما وقع منهم هو من قبيل إرادة الله تعالى ومشيئته ، وفي هذا ذم لقولهم لو شاء الله ما أشركنا، وأخبر الله سبحانه وتعالى كذب وبطلان دعواهم ، وبين سبحانه وتعالى أن هناك مشابهة واشتراكاً في الفعل بين الأولين والآخرين وهو تكذيب الأنبياء والرسل وقد أكده القرآن وهو قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي مثلما كذب مشركوا قريش الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد كذب الذين من قبلهم رسلهم ، ولكن المكذبين لم ينظروا في هذه الآيات نظر الإنصاف لاستبانة الحق، بل أعرضوا عنها وأصروا على جحودهم وعنادهم حتى ذاقوا بأسه تعالى، وهو عذاب الاستئصال للمعاندين الذين اقترحوا على رسلهم آيات معينة فجعلها الرسل نذيرا لهم بالاستئصال فتماروا بالنذر، وما دونه لغيرهم. (١)

والفعل (ذاقوا) جاء بصيغة الماضي وفيه إعلال بالقلب أي أن أصله ذوقوا. (٢)

وفي ذاقوا، إشارة الى أن الله تعالى قد أعد لهم عذاباً مؤخرا ، غير الذي نالهم وذاقوه في الدنيا ، لأن الذوق أول قربان الشيء أو أن الإذاقة في الدنيا والأشد منها بالآخرة. (٣)

---

(١) ينظر ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،سنة النشر: ١٩٩٠ م،عدد الأجزاء: ١٢،ج٨ ،ص١٥٥

(٢) ينظر، صافي ، الجدول في إعراب القرآن الكريم ،الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت،الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ ،عدد الأجزاء: ٣١ (٣٠ ومجلد فهارس) في ١٦ مجلدا، ج٨، ص٣١٧

(٣) ينظر ، العاني ، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ) ،بيان المعاني ،الناشر: مطبعة الترقي - دمشق ،الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م،بيان المعاني ،ج٣،ص٤١٨

فبين تماديهم وعدم استجابتهم للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ﴿حتى ذاقوا بأسنا ﴾ غاية للتكذيب مقصود منها دوامهم عليه إلى آخر أوقات وجودهم. (١) وفي قوله تعالى ﴿حتى ذاقواقوا بأسنا ﴾ فيه من التهديد والوعيد وهو بينّ" .(٢)

فلما ذاقوا بأس الله ؛ هلكوا واضمحلوا: والرجوع عن الفعل لظهور أنه لا يتصور الرجوع بعد استئصالهم. (٣)

أيضاً فيه إشارة ودليل على صدق دعوة الرسل في ما جاءوا به ، وبطلان شبهات المشركين والمشككين. (٤)

والبأس معناه عذابنا لما لنا من العظمة والله تعالى يفعل ما يريد ، ولا يسأل عما يفعل ، فما ينفعهم عنادهم عند وقوع بأسنا عليهم . (٥)

المسألة الثالثة : أما قوله تعالى من سورة النحل ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤﴾

[النحل -٩٤]

عند التأمل في هذه الآية نجد فيها اشارة واضحة للمحافظة على العهود والالتزام والتمسك بكل ميثاق يعقده الله تعالى على بني البشر ، وعدم نقضها لما في ذلك من خلاف للفطرة البشرية التي خلق الله الانسان عليها ، فنرى اقتران لفظ الذوق بالسوء ، فنهى الله سبحانه

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٨،أ،ص١٤٩
(٢) ينظر ابن عطية الاندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج٢ ،ص٣٥٩
(٣) ابن عاشور،التحرير والتنوير ،ج٨أ، ص١٤٩
(٤) المراغي ، تفسير المراغي،ج٨ ، ص٦٢
(٥) البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الايات والسور ،ج٧ ،ص٣١١

وتعالى أن يجعل الإنسان الايمان وسيلة للغش والخداع مع الفرد والمجتمع حتى لا يكون ممن صد الناس عن دين الله تعالى فيعاقبه الله تعالى بأن يذيقه السوء بسبب الصد عن سبيل الله تعالى . (١)

وقوله تعالى ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ ﴾ هذا مثل يراد به كل من وقع في بلاء بعد عافية ، ومحنة بعد نعمة وذوق السوء أي العذاب الشديد والعقاب الأليم بما صددتم عن سبيل الله وكنتم مثلاً سيئاً لغيركم ، فإن من نقض عهد الإسلام فقد سقط عن الدرجات العالية ووقع في مثل هذه الضلالة، ويدل على هذا قوله تعالى: وتذوقوا السوء أي العذاب الذي تذوقونه سوء عظيم وعقاب شديد في الدنيا ، قبل الآخرة .(٢)

والزلل اشارة على عدم الاستقرار والاتزان ، لما يترتب عليه من سقوط أو كسر والتعرض للضرر، وهذا تمثيل لما يجره نقض الإيمان من الدخل . (٣)

وتنكير القدم جاءت للاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الاسلام بعد أن آمنت وثبتت على الحق ، فكيف بأقدام كثيرة ، ثم جاء لفظ (الذوق) بصيغة الجمع (وتذوقوا) ، علماً أن الزلل جاء من قدم واحدة ، مراعاة للجمع أو للفظ الجمع على الوجه الكثير ، فكأن واقع الحال

---

(١) ينظر، حوى، سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ) ،الأساس في التفسير،الناشر: دار السلام – القاهرة ،الطبعة: السادسة ١٤٢٤ هـ،عدد الأجزاء: ١١ (في ترقيم واحد متسلسل) ، ج ٦، ص٢٩٩٢

(٢) ينظر، الرازي ،مفاتيح الغيب ، ج٢٠ ،ص٢٦٦

(٣) ينظر، ابن عاشور ،التحرير والتنوير ، ج١٤ ،ص٢٦٩

يقول أن خطأ نزر قليل من مؤمن يكون أثره وبيلاً ، وذوق السوء من كل ما يسوء الانسان ويحزنه ، من قتل وأسر ونهب وجلاء وغير ذلك. (١)

وفي قوله تعالى :﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بعد ثبوتها ﴾ "استعارة تمثيلية للمستقيم الحال يقع في شر عظيم ويسقط فيه لأن القدم إذا زلت نقلت الإنسان من حال حسنٍ إلى حال شر ويقال لمن خطأ في شيء زلت به قدمه". (٢)

وفي "زلة القدم بعد ثبوتها كناية عن ضعف العقيدة بعد قوتها. (٣)

كذلك نجد فيها تصويراً حسياً وحضوراً ذهنياً ،فهي صورة مرئية محسوسة ، وذوق الشيء يجعل الانسان يتعرف عليه ويمارسه أكثر من بلعه للطعام ، وتذوقوا السوء؛ يجعلكم تحسون به إحساسا عظيما. (٤)

---

(١) ينظر،أبو حيان الاندلسي، البحر المحيط ، ج٦ ، ص٥٩٠-٥٩١

(٢) درويش ، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ)، إعراب القرآن وبيانه ،الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ،عدد المجلدات : ١٠،ج٥ ، ص٣٦٠

(٣) الجمل ، حسن عزالدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل ،مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨ م،عدد الأجزاء: ٥،ج١،ص٢٧١

(٤) القدومي ، سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني،الناشر: دار الوضاح، الأردن - عمان ،ج١،ص١٨٩

وذوق السوء أي أنكم تذوقون العذاب ذوقاً تحسون به إحساس الذائق للطعام يجد منه ما يجد ، وذلك جزاء إتخاذكم الأيمان دخلاً والصد عن دين الله تعالى بغير الحق لهذا ستذوقون ما يسؤكم في الدنيا قبل الآخرة .

المسألة الرابعة : قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ۝١١٢﴾ [النحل-١١٢]

نلاحظ اقتران لفظ (الذوق) مع اللباس والمعلوم أن اللباس ما يستر الانسان ويغطيه، وقد ورد ذكر اللباس في ثمانية مواضع من القرآن وغالبها يدل على ما يغطي ويحيط بالإنسان من كل جانب ،ولم يرد ذكر اللباس مع الذوق إلا في هذا الموضع ، فكيف يمارس ذوق لباس الجوع والخوف ، بعد أن ذكر الله تعالى هذا المثل على هذه القرية ،ويروى أنها مكة ، أحصى بعض النعم عليهم وهي نعم عظيمة ومنها الأمن والاطمئنان ورغد العيش ، ولكنهم كفروا هذه النعم ولم يعرفوا لها قدرا، فعاقبهم الله، جزاء فعلهم ، بإبدال تلك النعم نقماً، وصور لنا القرآن حالها وهي تمارس شدة الجوع ، وأنه كان شديداً ، فصار يحيط بهم من كل جانب ، فأشبه اللباس الذي يحيط بصاحبه . (١)

فعبر القرآن عن التعريف بحالهم بلفظ (الإذاقة)، وأصله بالفم ، ويستعار ويوضع موضع الابتلاء ، وهو ما ظهر عليهم من الضمور وتعب البدن وتغير لون الوجه ، وكما يقال تعرف سوء أثر الخوف والجوع على فلان، أو أن الله تعالى حمل لفظ اللبس على المماسة ، أي أذاقها

---

(١) ينظر، الرازي ، مفاتيح الغيب الرازي، ج٢٠، ٢٧٩-٢٨٠ ، والواحدي ، الوجيز ،ج١،ص٦٢١، و ابي زهرة ،المعجزة الكبرى القرآن ،الناشر: دار الفكر العربي ، ص٨٠

الله مساس الجوع والخوف، وجعلها تمارس الخوف وهو ضد الأمن ، وذلك من خلال إغارة المسلمين عليهم . (١)

وهم يذوقون لباس الخوف والجوع ؛ كمن لبس لباسا كله قتاد، يؤذي أجسامهم ويجرحها ، بدون إدماء ولكن يمسّ الحشا بالجوع، والنفس بذهاب الأمن والاستقرار. (٢)

وقد جرت عند العرب الإذاقة مجرى الحقيقة وذلك لشيوعها في المحن والبلايا والشدائد وما يمس الناس منها ، فيقال ذاق فلان الضر والبؤس، لما له من أثر في الضرر وبما يناله الإنسان من طعم المر ، وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس : وهو ما ينزل بالإنسان من حوادث، وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف ، فلأنه لما حصل ووقع بهم ولابسهم من الجوع والخوف . (٣)

يعني قد سار أثر ذلك الجوع والخوف في جميع بدنهم وأعضائهم وجوارحهم ،كما يسري أثر ذوق الطعام من المذوقات في سائر الجسد ، فاستعير اللبس للشمول والذوق للنفوذ والسريان ، بحيث لا يترك عضواً من أعضاء الجسم إلا ومر به . (٤)

والإذاقة للباس "مستعارٌ ، وحقيقته أجاعها الله وأخافها والاستعارة أبلغ ، لدلالتها على استمرار لك

---

(١) ينظر، الرازي ، مفاتيح الغيب الرازي، ج٢٠، ٢٧٩-٢٨٠ ، والواحدي ، الوجيز ،ج١،ص٦٢١، و ابي زهرة ،المعجزة الكبرى القرآن ، ص٨٠

(٢) نفس المصدر السابق

(٣) ينظر ، الزمخشري ، الكشاف ،ج ٢ ، ص٦٣٨-٦٤٠

(٤) ينظر ، النخجواني ، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ) ،الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية ، الناشر: دار ركابي للنشر - الغورية، مصر ،الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ج١ ،ص٤٤٠

بهم كاستمرار لباس الجلد وما أشبهه". [١]

المسألة الخامسة :أما الآية من قوله تعالى ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ [الروم– ٤١]

إن مما هو معلوم أن الإفساد في الأرض هو سبب دمار وهلاك الأمم قديماً وحديثاً ، وأن من عظيم رحمة الله تعالى بالخلق أجمعين أنه لا يؤاخذ بالذنوب مباشرة ، بل ينذرهمويهددهم ، أو يصيبهم ببعض ما عملوا لعلهم يرجعون ، ففي الآية الكريمة بيان لظهورالفساد وانتشاره ومعناه أي الفساد " أجدب البر، وانقطعت مادة البحر بذنوبهم، كان ذلك ليذاقوا الشدة في العاجل ". [٢]

وقريء ليذيقهم بالنون ليخبر الله تعالى الأمر عن نفسه [٣]

وحين يذيق الله تعالى الإنسان العذاب، يريد أن يوقظه من غفلته ، وينبه فيه الفطرة الايمانية التي أودعها الله تبارك وتعالى في الإنسان ليستقيم حاله وذلك من تمام وكمال رحمة الله تعالى بالإنسان حتى لا يمسه السوء . [١]

---

(١)الرماني، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني (المتوفى: ٣٨٤هـ)،النكت في إعجاز القرآن،مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)]،المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ،الناشر: دار المعارف بمصر ،الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م،ص٩٠

(٢) القيرواني ، علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني، أبو الحسن (المتوفى: ٤٧٩هـ) ،النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)،دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل،دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م، ص٣٩١

(٣) ابن زنجلة ،عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ) ، حجة القراءات ،محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني،الناشر: دار الرسالة ، ص٥٦٠

وقوله تعالى: ﴿ لِيُذِيقَهُمْ ﴾ : متعلق بـ (ظهر)؛ أي ليصير حالهم إلى ذلك. وقيل: التقدير عاقبهم ليذيقهم. [٢] يعني: ليصيبهم بعض العقوبة في الدنيا. [٣]

ومعنى: ﴿ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا﴾ أي: ليذيقهم عقابه إلا أنه أجرى على بعض العمل؛ لأنهم إذا ذاقوا جزاءه؛ فكأنهم ذاقوه.[٤]

أي عملهم وكسبهم من المعاصي جزاءً ينالوه ويقع عليهم في الدنيا ، مع توعدهم بعذاب الآخرة فصار عذاب الدنيا بعض الجزاء.[٥]

والمقصود بهم في الآية هم كفار مكة،أي أن الله عاقبهم بالجوع والسنين لعلهم بهذه العقوبة يرجعوا من الكفر الى الإيمان وهذا من رحمة رحمته سبحانه وتعالى بالإنسان . [٦]

---

(١) الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) ،تفسير الشعراوي – الخواطر ،الناشر: مطابع أخبار اليوم ،عدد الأجزاء: ٢٠ ،(ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م)، ج١٨، ص١١٤٩٧

(٢) العكبري ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ)،التبيان في إعراب القرآن ،المحقق : علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه ،عدد الأجزاء،٢ (في ترقيم مسلسل واحد) ، ج٣ ،ص١٠٤١

(٣) السمرقندي، بحر العلوم ، ج٣،ص٢٢٢

(٤) ابن فورك ، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ) ،تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون – آخر سورة السجدة ،دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)،عدد الأجزاء: ١،الناشر: جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية ،الطبعة الأولى: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ م، ج١ ، ص٤٣٧

(٥) ينظر ،الماوردي ،أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ،تفسير الماوردي = النكت والعيون ،المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ،عدد الأجزاء: ٦،ج٤،ص٣١٨

(٦) ينظر ،الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ،النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس ،قدمه وقرظه:

والله سبحانه وتعالى أذاقهم الشيء اليسير على بعض الذي عملوا ، فلو أذاقهم كل أعمالهم لما ترك على ظهرها من دابة. [1] فكما أن الذوق ؛ القليل من الطعام كذلك عُبِر به عن القليل من العذاب في هذا الموضع .

وقوله تعالى ﴿ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا﴾ اللام للعلة والذوق وجود الطعم بالفم وكثر استعماله فى العذاب يعنى أفسد الله أسباب دنياهم بسوء صنيعهم ليذيقهم بعض جزاء ما عملوا من الذنوب ،ويجوز ان تكون اللام للعاقبة اى كان عاقبة ظهور الشرور منهم عما كانوا عليه من الشرك والمعاصي والغفلات وتتبع الشهوات وتضييع الأوقات الى التوحيد والطاعة وطلب الحق والجهد فى عبوديته وتعظيم الشرع والتأسف على مافات وهذا حتى يتعظوا فلم يتعظوا ففيه تنبيه على أن الله تعالى إنما يقضى بالجدوبة ونقص الثمرات والنبات لطفا من جنابه فى رجوع الخلق عن المعصية. [2]

ويجوز أن تكون الإذاقة عقوبة ، لكن يراد بها الإصلاح ، ليتنبهوا ويعودوا إلى ساحة الإيمان ، وكان هذا على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ليُبيِّن لنا أن الرسل إنما جاءوا

الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م ،عدد الأجزاء: ٤،ج٣،ص٤٣٥

(١) ينظر ، ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) ،المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان،الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت ،الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ ج١،ص٤٣٣

(٢) بتصرف ،أبو الفداء ،إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ، روح البيان ،الناشر: دار الفكر – بيروت ج٧،ص٤٦، سنة الطبع غير موجودة

لإنقاذ البشرية من هذا الفساد، لكن ما دام الأمر عُلِّل فالأمر يدور مع العلة وجوداً وعدماً، فكلما ظهر الفساد حلَّتْ العقوبة. (١)

المسألة الخامسة : أما قوله تعالى ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢١﴾ [السجدة _ ٢١]

نرى في هذه الآية مجيء لفظ الذوق مقترناً بالعذاب الأدنى ، وفي العذاب الأدنى أقوال كثيرة على أنها ما يصيبهم في الحياة الدنيا ،من ضنك وأسقام وقتل وسبي وما إلى ذلك .

أخرج ابن مردويه عن أبي إدريس الخولاني رضي الله عنه قال: فعن عبادة بن الصامت عن قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ ....﴾الآية فقال: سألت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم عنها فقال عليه الصلاة والسلام: هي المصائب والأسقام والآصار عذاب للمسرف في الدنيا دون عذاب الآخرة قلت: يا رسول الله فما هي لنا ؟ قال: زكاة وطهور، وفي رواية عن ابن عباس أنه الحدود. (٢)

وعن أبي عبيدة أنه فسره بعذاب القبر، وقيل: هو القتل والسبي والأسر،وعن جعفر بن محمد رضي الله تعالى عنهما أنه خروج المهدي بالسيف ، وعليهما يفسر العذاب الأدنى بالسنين أو الأسقام .(٣)أي: نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة لعلهم يرجعون أى يتوبون . (٤)

---

(١) بتصرف ،الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) ،تفسير الشعراوي – الخواطر،الناشر: مطابع أخبار اليوم ،عدد الأجزاء: ٢٠ ،(ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م)ج١٨،ص١١٤٩٧
(٢) بتصرف ،السيوطي ، الدر المنثور ، ج٦ ، ص٥٥٤
(٣) بتصرف ،الالوسي، روح المعاني ، ج١١، ص١٣٢
(٤) ينظر ، الزمخشري ، الكشاف ،ج٣ ، ص٥١٣

وعذاب الدنيا مهما بلغ من الشدة والألم ، فلا نسبة له إلى عذاب الآخرة ، وعذاب الدنيا ليس فيه من الشدة والمكث والطول ما يكون في الآخرة ولو بلغ لهلك الانسان واستراح من ذلك العذاب ، وأما العذاب الأكبر المؤخر فشديد ومديد، ولهذا جاء لفظ ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ ﴾، إشارة إلى أن هذا العذاب الذي يُذاقوه إنما هو ؛ شبيه ذائق يتذوق الطعام فلا يأكل منه.فهو عذابٌ قليلٌ نسبة لعذابِ الآخرة ، كذلك في هذا تهديد وتخويف، وإن العذاب العاجل وإن كان قليلا قد يحترز منه بعض الناس أكثر مما يحترز من العذاب الشديد إذا كان آجلاً. (١)

وثمة أمر آخر أن الله تعالى لم يقل الأصغر في مقابلة الْأَكْبَرِ أو إلّا بعد في مقابلة الْأَدْنى لأن المقصود هو التخويف والتهديد وذلك إنما يحصل بالقرب لا بالصغر وبالكبر لا بالبعد، قاله النيساب . (٢)

و"الأكبر يتضمن الأبعد، لأنه واقع في الآخرة، والتخويف بالبعيد إنما يصلح بذكر عظمته وشدته". (٣)

وحقيقة ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ﴾ أي " لنعذبنهم ، والاستعارة أبلغ ، لأن إحساس الذائق أقوى لأنه طالب لإدراك ما يذوقه ، ولأنه جعل بدل إحساس الطعام المستلذ إحساس الآلام ، لأن الأسبق في الذوق ذوق الطعام". (٤)

---

(١) بتصرف ، الرازي ، مفاتيح الغيب، ج٢٥، ص١٤٨

(٢) الالوسي ، روح المعاني ، ج١١، ص١٣٢

(٣) عضيمة ، دراسات لاسلوب القرآن ،ج٧ ، ص١٦٦

(٤) الرماني ، النكت في أعجاز القرآن ، ج١، ص٩٤

المسألة السادسة :قال تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الزمر-٢٦]

في هذه الآية من سورة الزمر ، نرى لفظ الذوق اقترن بالفاعل الصريح الذي هو لفظ الجلالة هو الذي يُذيقُ الخزي بنفسه، بخلاف كثير من الألفاظ فهي مقترنةٌ بنون العظمة أو الضمير الذي يعود على الفاعل ، والخزي هو الإفاقة على السوء والقبح والمكروه، بكسر الخاء (١) وفيه من الذل والهوان والفضيحة (٢)

ويقال لكل ما نال الجارحة من شيء قد ذاقته أي قد وصل إليه كما تصل الحلاوة والمرارة إلى ذائقهما، والخزاء إفراط الاستحياء. (٣) وأذاقهم الخزي أي جعلهم يدركون الالم إدراك الذائق الذي يذوق الطعام ويحسه. (٤)

أي جعلهم يحسون به إحساس من يذوق المطعوم في الحياة الدنيا وفيه بيان لمكان إذاقة الخزي ، كالخسف والغرق والقتل وغيره . (٥) وبهذا قد تحقق فيهم قوله تعالى فافتضحوا عند الله وعند

---

(١) ابن المرزبان ، ابو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان (المتوفى: ٣٤٧هـ) ،تصحيح الفصيح وشرحه المحقق: د. محمد بدوي المختون ،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية [القاهرة] ،عام النشر: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨، ص٢٢٣

(٢) ينظر، ابن سلام ، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ) ،التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ،قدمت له وحققته: هند شلبي ،الناشر: الشركة التونسية للتوزيع ،عام النشر: ١٩٧٩ م، ص١٣١

(٣) ابو جعفر النحاس ، أعراب القرآن للنحاس ،ج٤،ص٨

(٤) ينظر ،ابن فورك ، تفسير ابن فورك ،ج٢، ص٣١٨

(٥) ينظر،الخلوتي ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)،الناشر: دار الفكر – بيروت روح البيان ،ج٨،ص١٠١

خلقه. (١) وفيه من التهكم عليهم ،لأن الذوق إنما يكون في المطعوم الحالي، فعبر عن ايصال الصغار والعذاب إليهم بالإذاقة، تهكمًا بهم. (٢)

المسألة السابعة : أما الاية من قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [فصلت –١٦]

جاءت لفظة ﴿ لِّنُذِيقَهُمْ ﴾ في هذه الاية مقترنةً بعذاب ،وهو نكرة مضاف الى نوع العذاب وهو الخزي بخلاف الاية التي قبلها لم يرد العذاب وإنما قال الله تعالى (فأذاقهم الله الخزي) ، وأضافة العذاب إلى الخزي إضافة الموصوف إلى صفته ، ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به. (٣)

فبعد أن حكى الله تبارك وتعالى عن عاد وثمود وما اشتركت فيه الأمتان من المكابرة والعناد والإصرار على الكفر فصل هنا ببعض ما تميزت به كل أمة منهما من صورة الكفر والطغيان الذي كانوا فيه، وذكر من ذلك ما له مناسبة لما حل بكل أمة منهما من العذاب. (٤)

---

(١) ينظر السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق،الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م،عدد الاجزاء:١،ص٧٢٣

(٢) ينظر ، الهرري ، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي،تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن،إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي،الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م،عدد الأجزاء: ٣٣،ج٢٤،ص٥٦١

(٣) ينظر ، ابي السعود ،أرشاد العقل السليم ، ج٨، ص٩ والمراغي ، الايضاح ، ج٢٤ ، ص١١٧

(٤) بتصرف ، ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٢٤،ص٢٥٥

وقريء: لتذيقهم بالتاء. لتكون الإذاقة للريح ، أو للأيام النحسات. [١]

وكما مر معنا في الآية السابقة من السورة نفسها ،أن معنى الخزي ؛ كل عذاب يراد به الانتقاص من قيمة وكرامة الإنسان، وفيه من الذل والهوان ، فناسب نوع العذاب الجرم الذي وقعوا فيه وهو المكابرة والمعاندة والتكبر ، فقابل الله استكبارهم بأن يكون لهم نصيب من إيصال الذل والصغار إليهم وأي خزي وندامة وعذاب ، أشد من أن تحملهم وتتنابذهم الريح في الجو كالريش، وأن تلقيهم صرعى على الارض عن بكرة أبيهم فيشاهدهم المارون .[٢]

وكلمة ريح ذكرت في القرآن الكريم غالبا في مواطن الشر والعذاب [٣]

وكل هذا في الحياة الدنيا مما عُجِل لهم ومما توعدهم به الله تعالى يوم القيامة أبقى ، وهذا العذاب الذي هو في الدنيا لايطاق ، فقد عُبِر عنه بـ (ليذيقهم) ،فكيف بعذاب الآخرة ، والإذاقة ؛ أصلها بالفم وهي شبيهة بمن يتذوق الطعام ليعرف مرارته أوملوحته ، فشبه ما أذاقهم بالحياة الدنيا من عذاب بمن ذاق طعم الطعام ليتعرف عليه ، فهو نزر قليل لما أعد الله لهم يوم القيامة .

وثم قال تعالى ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ ﴾ و(أخزى) أداة مقارنة تفيد الأكثر والأقوى ؛ أي أشد إهانة وخزيا وهم لا يجدون من يخلصهم وينقذهم ، فلا ناصر يدفع ذلك الخزي عنهم. [١]

---

(١) بتصرف ، ابي حيان ، البحر المحيط ، ج٩ ، ص٢٩٦

(٢) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير ،ج٢٤،ص٢٥٨

(٣) ينظر، فاضل السامرائي ، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي الكتاب: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل،الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن،الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م،عدد الأجزاء: ١، ج١ ، ص٦٣١

المسألة الثامنة :أما الآيات التي في سورة القمر : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٧ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣٨ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٩﴾ [القمر]

الآيات مشهورة وقصتها معلومة لدى كثير من السامعين فهي تصور لنا قصة قوم أهلكهم الله تعالى لما كذبوا رسولهم الذي دعاهم الى الخلق القويم والفطرة التي جبل الله الخلق عليها ، ولكن القوم تماروا بخبر نبيهم لوطاً ، فتوعدهم الله بعذابٍ عاجل لما وصل بهم الحال أن راودوا الملائكة ، والمراودة: مقابلة، من راد فلان يرود، إذا جاء وذهب، لكي يصل إلى ما يريده من غيره عن طريق المحايلة والمخادعة، ذوقوا عذابي الشديد الذي سينزل بكم، بسبب تكذيبكم لرسولي، واستخفافكم بما وجه إليكم من تخويف وإنذار. (٢)

ونجد "أن التوعد بذوق العذاب جاء بالتكرار وهو ملحوظ مقصود والغاية منه التذكير والانتباه من سنة الغفلة التي قد تطرأ على الأذهان فتحجبها عن التأمل والتدبّر، وترين عليها سجوف الجهالات حتى ما تكاد تبصر شيئا من الحق ، وهذه السنة ظاهرة في كثير من الاقوام الذين كذبوا الرسل فعاقبهم الله" . (٣)

ولكن الميزة التي تمثل بها قوم لوط المماراة والتشكيك بما توعدهم به لوط عليه السلام ،فهؤلاء القوم قد جمع الله عليهم عذابين دنيوي وهو طمس العيون وجعل أعالي قراهم سافلها وهذا تجسد في قوله تعالى : ﴿ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ فذاقوا عاقبة تكذيبهم فبداية ذوقهم

---

(١) ينظر ،الرازي ،مفاتيح الغيب ،ج٢٧،ص٥٥٣ و المراغي ، الايضاح ، ج٢٤ ، ص١١٧

(٢) سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط، ج١٤،ص١١٥

(٣) درويش ،محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ) ، إعراب القرآن وبيانه ،الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)،الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ،عدد المجلدات : ١٠،ج٩ ، ص٣٨٨

للعذاب من الطمس للعيون وقيل: طمس أعينهم فلم يبق حتى الشق الذي تخرج منه العين في وجوههم ،وامتد ذوق هذا العذاب بهم إلى يوم القيامة فهو دنيوي بدأ وأخروي يمتد بلا نهاية عياذاً بالله تعالى ، وهذا مثله قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ أي: أتاهم صباحاً عذابٌ مستقر نازل يدوم بهم إلى النار، أي: فهو عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ بدايته لحظة نزول هذا العذاب في الصباح، ولا نهاية له والعياذ بالله، ﴿ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.(١)

ثمة ملحظٌ مهم وهو ما سبب ومناسبة تكرار ذوق العذاب والنذر في الآية ، أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا، إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقه فتركهم يترددون لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط فذوقوا فقلت لهم: ذوقوا على ألسنة الملائكة بكرة أول النهار وباكره، كقوله: مشرقين، ومصبحين ، وفائدة تكرير قوله ﴿ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارا واتعاظا، ويكونوا عبرة لمن يسمع ويقرأ عنهم وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات، ، لئلا يغلبهم السهو ولا تستولى عليهم الغفلة،وأمثلته في القرآن كثيرة ، كقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن ، وكذلك تكرير الأنباء والقصص في

(١) اسماعيل ، محمد أحمد إسماعيل ،تفسير القرآن الكريم ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – ٢٠٤ درسا] ،ج١٤٨ ،ص١٢

أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة القلوب، مصورة للأذهان، مذكورة غير منسية في كل أوان فهذه صورة تبقى حية في الأذهان ، يعتبر منها العاقل ويتغافل الجاهل . [١]

المسألة الثامنة : أما الآيات الباقية من : قوله تعالى ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحشر]

وقوله تعالى﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (﴿٥﴾) ﴾ [التغابن-٥]

وقوله تعالى﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الطلاق٨-١٠]

فنجد أن جميع الآيات قد اتحدت باقتران لفظ (الذوق) فيها مع الوبال ،وكما مر معنا آنفا أن كل هذه العقوبات دنيوية ، جزاء ما يقع من فعل الإنسان، والوبال في أصله اللغوي وخامة المرعى المستلذ به للماشية يقال كلأ وبيل إذا كان مرعى خضرا حلوا تهش اليه الإبل فيحبطها ويمرضها أو يقتلها. [٢] فهو مرعى ضار ترعاه الماشية لما ترى فيه من حلاوة مرعى ولكن

---

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ج٤ ، ص٤٣٩

(٢) ينظر، الجوهري، الصحاح تاج اللغة ج٤، ص١٦١ ، الراغب ، مفردات غريب القرآن ،ج١ ،ص ٨٥٣ وابن عاشور ،التحرير والتنوير، ج ٢٨، ص ١٠٨

سرعان ما يكون عليها وبالاً، دون أن تدرك سوء عاقبته. [1]ووَخيمٌ، أي ثقيل بين الوخامةِ والوخومة. واستوخمت الطعام وتوخمته ، إذا اسْتَوْبَلْتَهُ [2]

واستوبلت الراعية المرتعَ: إذا استوخمته. كما قال زهير في معلقته :

إلى كَلأٍ مستوبلٍ متوخم [3]

فالآية الأولى تصور لنا الإذاقة على اجمل تصوير، وفيه وجه مشابهة ، حيث كما أن الإبل تهش وجهها للنعمة وللمرعى الحلو الخضر ، فكذلك اليهود والمنافقين وما أوقعوا أنفسهم فيه وذلك عندما وعد المنافقين واليهود المشركين بنصرتهم ، على المسلمين وما وعدوهم إياهم من وعود مغرية دون النظر والتفكر الى سوء العاقبة ومآل الامور وانتصار المسلمين عليهم ، حيث فجعوا بخيبة أمل اصابتهم ، الأمر المذكور من شأنهم في هذه الآيات هو الشأن الذي دبروه وحسبوا له حسابه وأوقعوا أنفسهم بسببه في هذا الوبال فذاقوا سوء أعمالهم في الدنيا، فكل ما نالهم من جلاء وترك الديار والأموال والزروع والمواشي ، كان جزاء أفعالهم الدنيوية . [4]

كذلك من المعاني التي يبرزها سياق هذه الآيات استعمال الذوق هو حقيقة ما أحسوا به من العذاب ووجدوه وشبه إليهم بشيء له طعم كريه يدركه من يذوقه ويبتلعه لأن الذوق باللسان

---

(١) ينظر ، ابن عاشور ، التحرير والتنوير ،ج٢٨،ص١٠٨

(٢) الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، منتخب من صحاح الجوهري، وأصل الكتاب صحاح الجوهري، ج١ ، ص٥٦٧٢

(٣) الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، منتخب من صحاح الجوهري، وأصل الكتاب صحاح الجوهري، ج١ ، ص٥٦٧٢ ، عجز بيت لزهير من معلقته.

(٤) ينظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ،ج ٢٨،ص١٠٨

أشد من اللمس باليد أو بالجلد فأعطى معنى شدة العذاب وقوة وصوله إليهم وشدة إحساسهم به فأحسوا بالعذاب في الدنيا إحساسا مكينا(١)

وهذا الذوق "ذوق أدنى يترتب عليه ذوق أكبر في الآخرة فالذوق والوبال أعطيا هذا المعنى فالذوق للشيء القليل والوبال للشيء الشديد الثقيل المترتب على جزاء الأعمال ،وفي الجمع بين الذوق والوبال استعارة بديعة على طريقة المكنية". (٢)

ومما ينبغي الإشارة اليه من الأساليب العظيمة التي تناولها القرآن الكريم أسلوب العبرة والعظة، لما في هذا الأمر من تأثير في النفوس، والسور التي نزلت في هذه الأحداث سور متنوعة بين المكي والمدني، فالمائدة والحشر والطلاق مدنية بالاتفاق والأنعام مكي بالاتفاق والتغابن من المختلف فيه كما أشار إلى ذلك صاحب مناهل العرفان. (٣)

فكل ما وقع لهم وذاقوه هو سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ،ولهم عذاب أليم ، أي ولهم مع عذاب الدنيا وبال تكذيبهم ورديء أفعالهم ،عذاب النار في الآخرة مضافا إلى عذابهم الدنيوي . (٤) فبسبب إفسادهم في الأرض أفسد الله عليهم أسباب عيشهم الدنيوي . (٥)

---

(١) ينظر، ابن عاشور، التحريروالتنوير ، ج٢٨،ص٢٦٨

(٢) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٢٨،ص٢٦٦

(٣) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن _ الناشر مطبعة عيسى البابي وشركاؤه – الطبعة الاولى ج١ص١٩٨و١٩٩

(٤) ينظر، سعيد حوى ، الاساس في التفسير ،ج١٠ ، ص٥٨٢٥ ، و ج١٠ ، ص٥٩٥٢

(٥) ينظر ، الزمخشري ، الكشاف ،ج٣ ، ص٤٨٢

يتبيَّن لنا من خلال الآيات التي مرَّت معنا في هذا الفصل أنَّ جميعها تحدثت عن الرحمة والعذاب في الحياة الدنيا ، وآيات إذاقة الرحمة جاءت تعبِّر عن القليل الذي يصيب الإنسان من صحة وعافية ومطر ورخاء وزرع وغيرها ، لكنَّ هذه الإذاقة القليلة لتلك النعم كشفت لنا جانباً مهماً من طبيعة هذا الإنسان وهو جانب البطر والغرور والتكبر وكفران هذه النعم كاشفة عن خُبث هذه النفس وعدم صفاء نواياها ، ونقضها للعهود، فالإنسان بمجرد حصول هذا النزر القليل من الرحمة بَدَرَ منه هذا البطر الشديد ، فلم يحافظ على هذه النعم ولم يشكرها لتدوم عليه ، وأصل هذه النعم من الله تعالى ، فما بالك لو دامت تلك النعم عليه فماذا يا ترى سيصدر منه؟.

أمَّا الآيات التي تناولت العقوبة والعذاب في الحياة الدنيا فنجدها أيضاً نزلت عقوبة لما فعله أولئك الأقوام ، فمنها ما جاء مباشرة بعد وقوع الذنب ، فتنوع عليهم العقاب إمَّا بإرسال العذاب من فوقهم ومن تحتهم وألبسهم شيعاً وأذاقهم بأس بعض وجعلهم يذوقون الخوف والجوع ؛ أو بأرسال الريح التي تدمر كل شيء بأذن ربها ، وإذاقتهم الخزي والفضيحة والعار من القتل والأسر والتشريد ، وكذلك إذاقتهم الوبال وهو العذاب الوخيم الثقيل النازل بهم.

وكلّ ما أصابهم من قبيل إذاقة الطاعم للطعام ، فكما أنَّ الذوق هو لليسير من الطعام فكذلك عذاب الدنيا بالنسبة لعذاب الآخرة ، فهم لم ينالوا شيئاً من العذاب بعد، بل ما أصابهم من قبيل العذاب الأدنى ؛ لأنَّ عذاب الدنيا لا يُقاس ولا يُقارن مع عذاب الآخرة ، وغمسة واحدة في جهنم تُنسيه عذاب الدنيا ، وذوق عذاب الدنيا ذوقٌ أدنى ترتَّب عليه ذوق أكبر وأشدُّ يوم القيامة وهو ما ينتظرهم .

الفصل الرابع

استعمالات ألفاظ الذوق في الحياة الآخرة

في معنى العذاب

تمهيد :

إنَّ اقتران أغلب آيات الذوق مع ذكر عذاب الآخرة يدل على حكمة ظاهرة بالغة لاشتمالها على الخطاب الوارد في مواجهة المشركين إذ يقال لهم ذلك وهم في جهنم فالآخرة دار جزاء وحساب، وقد حان موعد حسابهم ووقع عقابهم وما أصابهم في الدنيا من العقاب فهو بمنزلة العدم لعذاب الآخرة ، بل إنَّ غمسة واحدة في النار تنسيهم نعيم الدنيا.[١]

لهذا كانت آيات العذاب مع الذوق هي الأكثرَ حضوراً، من الآيات الأخرى التي جاء فيها لفظ الذوق . وكثر ورود لفظ الذوق في السور المكية التي من خصائصها مخاطبة المشركين المنكرين للبعث وهذا ينسجم تماماً مع مقاصد الكريم في العهد المكي، وهو التهديد والوعيد والإنذار للكفار، إذ كانت تلك المرحلة مليئة بالمواجهات العقائدية ، وهذه المواجهة تستلزم آيات تليق بذلك المقام ، مقام المشركين المنكرين المعاندين المتجبرين من جهة ، وسمّو المقام المحمّدي الذي يحتاج مثل هذا الكلام القرآني الشديد اللهجة من جهة أخرى ؛ ليكون أوقع في نفوس المشركين بما يحمل من نبرة وبلاغة تأسر قلب وعقل السامعين ، ومن جهة أخرى يشفي صدر الرسول صلى الله عليه وسلم بما سيؤول بهم الحال يوم القيامة.

---

(١) ينظر، عبدالعزيز العمار ، مقامات الذوق ، ص٢٤٠

وما تحمله الآيات في طيّاتها من تسلية له صلى الله عليه وسلم بأنَّ ما يلاقاه ليس هو وحده فقط ، بل لقد لقيه الأنبياء والمرسلون من قبل وقوبلوا بما واجهه من المشركين من عناد واستخفاف واستكبار.

وجاءت أغلب الآيات التي ورد فيها الذوق في صيغة فعل الأمر مع ضمير الجمع، مما يعطي دلالة على المواجهة، والأمر لهم بمباشرة ذوق العذاب، فالملائكة يتوجهون إليهم بالخطاب مباشرة، ويأمرونهم أمراً بذوق العذاب.(١)

إنَّ اقتران الذوق مع العذاب يجلّي دلالة شدة الإحساس بالعذاب وشدة الألم واستمراره ووصوله إليهم مع إرادة الاستغراق والعموم، ومعنى العموم المراد هنا ذوق العذاب كله، بكل أصنافه وأنواعه.

تبين لنا هذه الدلالات أن لفظة الذوق تختلف دلالاتها بين القلة والكثرة، حسب السياق الذي وردت فيه فإذا كان العذاب في الدنيا أريد به القلة ؛ لأن عذاب الدنيا بالنسبة لعذاب الاخرة كالذي يتذوق الطعام فقط. (٢)

وتتلاشى هذه الدلالة في عذاب الآخرة وتتحول من القلة إلى الكثرة وهو ما يتناسب مع عذاب الآخرة، إذ هو يوم الجزاء والعقوبة والحساب.(٣)

---

(١) ينظر،عبدالعزيز العمار ، مقامات الذوق، ص٢٤١

(٢) ينظر، ابي حيان ، البحر المحيط ج٤، ص٤٤٦

(٣) ينظر ، الرازي ،التفسير الكبير ،ج١٠، ص١٣٥

وكذلك تُظهر كثرة ورود الآيات في مقام العذاب بهذا الأسلوب البليغ دلالة على شدة غضب الله على هؤلاء الكافرين، ومادة الذوق (بنيت على غضبٍ شديد تجد هذا الغضب الشديد في كلماتها وفي موقعها).[١]

وستتبين لنا دلالات أخرى تُضاف لهذه الدلالات، عند دراسة كل نوع من أنواع العذاب حسب الآيات والسياق الذي وردت فيه. إذ تمَّ دراسة كلّ نوع من أنواع العذاب على حدةٍ حتى نستخرج دلالات أخرى يتبين من خلالها مناسبة الذوق مع كل نوع ، وقد جعلت الفصل على مبحثين ، وخصصت الأول: لذوق العذاب للمشركين ،وقسمته إلى مطالب ، وكل مطلب جمعت فيه العذاب الذي اشترك في النوع . والمبحث الثاني جعلته لغير المشركين من أهل الكتاب وعصاة الجن من أهل النار :

(١) ابو موسى ، محمد أبو موسى ، آل حم غافر ، فصلت دراسة في اسرار البيان ،الناشر ، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ،١٤٣٠هـ،٢٠٠٩م، ص٤٠٠

المبحث الأول

(الذوق في عذاب المشركين)

المطلب الاول

(الذوق مع العذاب عموماً)

١. قال تعالى:﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران]

٢. قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء]

٣. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنعام]

٤. قال تعالى:﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴿٣٩﴾﴾ [الاعراف ٣٩]

٥. قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال]

٦. قال تعالى:﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾﴾ [ص]

٧. قال تعالى:﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحقاف]

٨. قال تعالى :﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النبأ]

عند تأمل سياق الآيات نجد أنَّ لفظ الذوق جاء مقترناً مع العذاب مُعرَّفاً مع تعليل ذوق العذاب بسبب الكفر أو الكسب مما يعطي دلالة على أنَّ المخاطبين هم الكفار وأنَّ ذوقهم العذاب إنَّما هو بسبب كفرهم ، مع أنَّ كل آية قد أعطت في سياقها معنى آخر ولنا فيها بعض المسائل:

المسألة الأولى: إذا جئنا إلى آية آل عمران من قوله تعالى :﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ١٠٦﴾ [آل عمران]

نلحظ أنَّ هناك فريقين ، فريق المؤمنين وهم الذين ابيضت وجوههم وفريق الكافرين الذي اسودت وجوههم ، فالسواد ظلمة أهل الكفر والبياض نور الإيمان، والظلمة في معرض إنكارهم لليوم الآخر.[١]

قال ابن عاشور: " وعلى هذا المعنى تأول الآية مالك بن أنس قال: "ما آية في كتاب الله أشدّ على أهل الاختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ ﴾ قال مالك: إنَّما هذه لأهل القبلة. يعني أنَّها ليست للذين تفرَّقوا واختلفوا من الأمم قبلنا بدليل قوله أكفرتم بعد إيمانكم.[٢]

وأنَّ همزة ﴿ أَكَفَرْتُم ﴾ فيها إنكار على الكافرين .وفي (ذوق العذاب) استعارة ، فقد شبهه بالمرِّ مما يؤكل ثمّ حذف المشبّه به وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الذوق، ولا يخفى ما فيه من الشعور بالمرارة، وذلك على طريق الاستعارة التبعية المكنية.[٣] يقول لهم ﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا

---

(١) سعيد حوى ،الاساس في التفسير، ج٢ ، ص٨٤٥
(٢) ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ج ٤ ، ص ٤٦
(٣) صافي، الجدول في اعراب القرآن الكريم ،ج ٤ ص ٢٧٠

كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ وخصّ لفظ الذوق؛ لأنَّهم في كل حال يجدونه وجدان الذائق في قوة الإحساس و ﴿ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ أي بسبب كفركم.[١]

فختم بقوله: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾. وهذه استعارةٌ بليغة، والمعنى باشروه مباشرةَ الذائق، إذ هي من أشد المباشرات.[٢]

المسألة الثانية : سياق سورة النساء **في قوله تعالى** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[النساء]

بينت الآية في بدايتها سبب ذوقهم العذاب، وحملت نوعاً من أنواع التهديد بصيغة المستقبل لما فيه من الترويع وزرع الخوف في قلب المخاطب لما فيه من الترصد والتوعد بانتظارهم ، وذلك بقوله تعالى ﴿ سَوۡفَ ﴾ الدالة على المستقبل ، وكذلك ﴿ نُصۡلِيهِمۡ نَارًا ﴾ ومجيء النار نكرة تدل على عظمة هذه النار، وجاء ذكر الذوق مع تبديل الجلود أعطى هذا الاقتران معنى رائعاً يتناسب مع كفرهم فـ ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُمۡ ﴾ أي احترقت وكلما ظرفُ زمانٍ ، أي: أعطيناهم مكانَ كلِّ جلدٍ محترقٍ عند احتراقِه جلداً جديداً مغايراً للمحترق صورة وإنْ كان عينُه مادةً بأن يُزال عنه الاحتراق ليعود إحساسه للعذاب. [٣]

---

(١) الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج١٢، ص٥١٢

(٢) السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ،دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ط١ ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، عدد الأجزاء: ٣،ج٣ ، ص٢٧٢

(٣) ابو السعود ، ارشاد العقل السليم، ج٢ ،ص١٩١

ويقال له ذلك ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز : أعزك الله. وقيل يخلق مكانه جلداً آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة إدراكها.(١) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: "يبدلون جلوداً بيضاء كأمثال القراطيس" وروي أنَّ هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله تعالى عنه فقال للقارئ :أَعِدْها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ: عندي تفسيرها يبدل في ساعةٍ مائةَ مرةٍ فقال عمرُ رضي الله عنه هكذا سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال الحسنُ: تأكلُهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا، ورَوى أبو هريرة عنِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم:" أنَّ بين منكِبَي الكافرِ مسيرةَ ثلاثةِ أيامٍ للراكبِ المسرعِ".(٢) وعن أبي هريرة أنه قال: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ضِرْسُ الكافرِ أو نابُ الكافر مثل أحُدٍ وغِلَظُ جلدِه مسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ.(٣) (٤)

والتعبيرُ عن إدراك العذابِ بالذوق ليس لبيان قلَّته بل لبيان أنَّ إحساسَهم بالعذاب في كل مرةٍ كإحساس الذائقِ بالمذوق من حيثُ إنَّه لا يدخُله نقصانٌ لدوام الملابَسةِ أوللإشعار بمرارة العذابِ مع إيلامه أو للتنبيه على شدة تأثيرِه من حيث إنَّ القوةَ الذائقة أشدُّ الحواس تأثيراً أو على سِرايته للباطن.(٥) وفي تبديل الجلودِ مع قدرتِه تعالى على إبقاء إدراكِ العذابِ وذوقِه بحاله مع الاحتراق ومع إبقاء أبدانِهم على حالها مَصونةً عن الاحتراق أنَّ النفسَ ربما تتوهّم زوالَ الإدراكِ

(١) ابو السعود ، ارشاد العقل السليم، ج٢ ،ص١٩١

(٢) البخاري ،صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، ج٨، ص١١٤ ، برقم (٦٥٥١)

(٣) مسلم ، صحيح مسلم ،ج٨ ،ص١٥٣،رقم الحديث ،(٧٣٦٤)

(٤) ابو السعود ، ارشاد العقل السليم، ج ٢، ص١٩١

(٥) ابوالسعود ،ارشاد العقل السليم ،ج٢، ص١٩١

بالاحتراق ولا تستبعد كلَّ الاستبعادِ أن تكون مصونةً عن التألم والعذابِ بصيانة بدنِها عن الاحتراق.(١)

المسألة الثالثة : الآية التي في سورة الأنعام وهي قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ٣٠﴾

الآية الكريمة تصوّر لنا موقفاً من مواقف الكافر الذي يقف بين يدي ربه تبارك وتعالى ، وهو أشبه بموقف الجاني أمام سيده ، وقوله ولو ترى لشخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، أمراً فظيعاً مهولاً ، يا محمد ، والملائكة تمسك بهم وهم موقوفون للحساب أمام الله ليقضي في شأنهم كما قال تعالى في آية أخرى ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ٢٤﴾ [الصافات] أي: لا يقضي في أمرهم سواه سبحانه وتعالى ، فيسألهم ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ﴾ فاعترفوا بقولهم ﴿ بَلَىٰۚ ﴾ وهو جواب لا يحتمل أمرين مثل نعم، فطمعوا أنْ يكون اعترافهم تخفيفاً لهم ، فيقول لهم الله تبارك وتعالى إذا كان الأمر كما اعترفتم ﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَۚ ﴾ بسبب جحدكم وكفركم في الدنيا.(٢)

وعبر هنا بـ ﴿ تَكْفُرُونَۚ ﴾ وفي سورة الأعراف بـ ﴿ تَكسِبونَۚ﴾ ؛ لأنَّ العذاب المتحدَث عنه هنا لأجل الكفر. والمتحدَث عنه في الأعراف لأجل الكفر والإضلال وما يجره

---

(١) ابو السعود ، ارشاد العقل السليم، ج٢، ص١٩١

(٢) الهرري ، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن،ج٨ ،ص٢٦٤

الإضلال من الكبرياء والرئاسة.[1] وخص لفظ الذوق؛ لأنهم في كل حال يجدونه وجدان الذائق في قوة الإحساس.[2]

وذوق أهل النار للعذاب يعني (أنهم يجدون حقيقة العذاب وجوهر العذاب ويعالجون ألمه وأوجاعه ويجدون كل ذلك كما يجد ذائق الطعام جوهر الطعام حقيقته وطعمه ونكهته والتذوق في كل شيء نهاية العلم به ونهاية معرفته ودقيقه وجليله).[3]

فائدة: ﴿ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ فجعل موجب العذاب هو الكفر من حيث إنَّه كفر لا الكفر من حيث إنَّه بعد الإيمان، وإذا وقع التعليل بمطلق الكفر دخل كل الكفار فيه سواء كفر بعد الإيمان، أو كان كافراً أصليَّاً والله أعلم. [4] ولو لم يذكر ذلك لكان الوعيد مختصاً بمن كفر بعد إيمانه، فلما ذكر هذا ثبت الوعيد لمن كفر بعد إيمانه ولمن كان كافراً أصلياً.[5]

المسألة الرابعة : أما قوله تعالى: ﴿وَقالَتْ أُولاهُمْ لِأُخْراهُمْ فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ جاءت الآية الكريمة لتبين جدالاً وخصاماً بين فريقين إتَّهم به اللاحقون السابقين.. وهم الأسياد والأتباع ، وأنه إذا كان السابقون قد ضلّوا فإنَّ اللاحقين قد ضلوا أيضاً، ولم يكن لهم من عقولهم ما يحجزهم عن هذا الضلال، فهم إذن جميعاً على سواء في الضلال، ولكلّ ضعف من العذاب. وفي قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ هو من مقول القول الذي قاله السابقون للاحقين.. وأنَّ هؤلاء اللاحقين إنَّما يذوقون العذاب بما كسبت

---

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ج ٩، ص٣٤٠

(٢) الرازي ، مفاتيح الغيب ،ج١٢،ص٥١٢

(٣) محمد ابو موسى ، دراسة في اسرار البيان ، ص٤٠١

(٤) تفسير الرازي ، مفاتيح الغيب ،ج ٨ ، ص ٣١٩

(٥) تفسير الرازي ، مفاتيح الغيب ،ج ٨ ، ص ٣٢٠

أيديهم، ولنْ يحمل عنهم وزرهم أحد، وهذا الخصام الذي بين أهل النار هو عذاب إلى عذاب، حيث يتبرأ بعضهم من بعضهم، ويتمنّى بعضهم لبعض مضاعفة البلاء والعذاب، وقد كانوا فى دنياهم أصدقاء، وأحباء، وأقارب.. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف : ٦٧].[١] والمعنى: أننا اشتركنا في الجرم وقد كفرتم وفعلتم كما فعلنا فليس تستحقون تخفيفاً من العذاب.[٢] تَكْسِبُونَ

ويحتمل أنْ يكون ﴿فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من كلام القادة وأنْ يكون من قول الله تعالى لهم جميعاً والمقصود من هذا الكلام التخويف والزجر ؛لأنَّه تعالى لما أخبر عن الرؤساء والأتباع أنَّ بعضهم يتبرأ من بعض ويلعن بعضهم بعضاً كان ذلك سبباً لوقوع الخوف الشديد في القلب.[٣]

وصيغة الأمر في قولهم: ﴿فذوقوا﴾ مستعملة في الإهانة والتشفي والذوق استعمل في الإحساس بحاسة اللمس، والباء سببية أي: بسبب ما كنتم تكسبون مما أوجب لكم مضاعفة العذاب، وعبر بالكسب دون الكفر ؛ لأنه أشملُ لأحوالهم؛ لأنَّ إضلالهم أعقابهم كان بالكفر وبحب الفخر والإغراب بما علموهم وما سنوا لهم، فشمل ذلك كله أنَّه كسب.[٤]

---

(١) الخطيب ، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ) ،التفسير القرآني للقرآن ،الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة ،ج ٤ ،ص ٣٩٨

(٢) بتصرف ، النحاس ، اعراب القران للنحاس ، ج٢، ص٥٣

(٣) الرازي ،مفاتيح ،ج١٤، ص٢٣٩

(٤) بتصرف ،ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ب٨، ص١٢٤

المسألة الخامسة :أما قوله تعالى في سورة الانفال : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴿٣٥﴾ ﴾

تعرض لنا الآية الكريمة صورة من صور مكر كفار قريش واستهزائهم بالصلاة وذلك أنَّ أمة كأهل مكة في سوء أدبها مع الله ومع كتبه، وكبرها وتعنتها ومحاربتها للحق، وفي مثل كيدها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتخطيطها ضده، لا سيَّما في أشرف بقعة مباركة على الأرض ألا وهي بيت الله الحرام ، فما كان من الله إلا أنْ يعاقبهم بإفساد مكايدهم وقتل عظمائهم.(١)

فذكر الله تعالى بعضاً من أفعالهم كصلاتهم (عند البيت) ظرف مكان يدل على التعظيم ، ولكن الله تعالى شنع هذا الفعل في هذا المكان وفي الصلاة كما وصفها الله تعالى ﴿ إِلَّا مُكَآءً ﴾ أي: صفيراً يشبه صفير الطير – من مكا يمكو مكواً ومكاء – إذا صفَّر بِفِيْه أو شبَّك أصابعه ونفخ بها، و﴿ وَتَصْدِيَةً ۚ ﴾ أي تصفيقاً ، فهذا من أفعال الجاهلية ، حيث يجعلون طوافهم حول البيت عراةً تصفيراً وتصفيقاً، وفي هذا إشارة بأن صلاتهم لا معنى لها.(٢)

ونحن نعلم أنه ليس للمشركين صلاة فسمَّى المكاء والتصدية صلاة على اعتبار المشاكلة التقديرية ؛ لأنهم صدُّوا المسلمين عن الصلاة وقراءة القرآن عند البيت . قال مجاهد "فعل ذلك نفر من بني عبد الدار يخلطون على محمد صلى الله عليه وسلم صلاته" علماً أنهم من سدنة الكعبة ، فكان فعلهم للاستسخار بالصلاة سمي فعلهم ذلك صلاة ، فلم تكن للمشركين

---

(١) ينظر ، سعيد حوى ، الاساس في التفسير ،ج٤،ص٢١٥٨

(٢) ينظر ، البقاعي ، نظم الدرر، ج٨ ،ص٢٧٥

صلاة ، والمكاء والتصدية لا يُعدَّان كفراً إلا إذا كانا صادرين للسخرية بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالدين.[١]

وكل هذه الأفعال التي كانوا يقومون بها من استهزاء وسخرية وتصفيق وتصفير بالصلاة وبالرسول في مكان يوجب التحريم لهذه الأعمال التي أعتبرها اللهُ كُفراً ، فاستحقوا ذوق العذاب الذي يجدونه ، ويحسون به ويلامسونه ذوق الذائق للمذوق.

وفي الآية " التفات إلى مخاطبة الكفار تهديداً لهم ومبالغة في إدخال الرعب في قلوبهم، والمراد به عذاب الدنيا كيوم بدر، وعذاب الآخرة، قال الضحاك: يعني أهل بدر عذبهم الله بالقتل والأسر." [٢] "وفي هذا الأمر لهم بذوق العذاب توبيخ بالغ وتهكم عظيم " [٣]

وهناك مناسبة في أن الآية هنا في قريش وكفرهم بصلاتهم عند البيت مكاء وتصدية. وآية الأعراف: في قوم ضلوا وأضلوا غيرهم بما كسبوا من إضلال غيرهم مع كفرهم، فناسب زيادة العذاب وتضعيفه لزيادة الكسب في الضلالة. [٤]

---

(١) ابن عاشور ،التحرير والتنوير، ج٩ ، ص٣٣٩

(٢) القنوجي ،أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ) فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ،الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م عدد الأجزاء: ١٥ ،ج ٥ ، ص ١٧٠

(٣) القنوجي ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، ج ١٣ ، ص ٤١

(٤) الحموي ، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (ت: ٧٣٣هـ)، كشف المعانى فى المتشابه من المثانى، تح: الدكتور عبد الجواد خلف ، الناشر: دار الوفاء . المنصورة ط١، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ١، ص ١٩٠

المسألة السادسة : أما قوله تعالى :﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ ﴾ أي واذكر يا محمد لهم ذلك اليوم وهو يوم العرض بمباشرة العذاب كما تقول عرضت العود على النّار. [١] أي يكشف الغطاء فيقربون من النار وينظرون إليها.[٢] وأقيم المفعول به مقام الفاعل.[٣] فيقال لهم: أَلَيْسَ هذا بِالْحَقِّ، فالإشارة إلى ما يُشاهدونه من فظيع العذاب، وفيه تهكُّم بهم، وتوبيخ لهم، على استهزائهم بوعد الله تعالى ووعيده في الدنيا.[٤] وجوابهم بـ (بلى) جواب لما تقرر، وأكدوا جوابهم باليمين ﴿ وَرَبِّنَاۚ ﴾.[٥]

---

(١) المقدسي ، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧ هـ) ،فتح الرحمن في تفسير القرآن،اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب،الناشر: دار النوادر (اصدارات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، إدارة الشؤون الاسلامية)،الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م،عدد الأجزاء: ٧،ج٥ ، ص٣٤٨

(٢) القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، تفسير القرطبي ،ج١٦،ص١٩٩

(٣) محمد عضيمة ، دراسات لاسلوب القرآن ، ج٨ ،ص٦٥٤

(٤) الأنجري ، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) ،البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان،الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة،الطبعة: ١٤١٩ هـ،دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م،ج٥،ص٣٤٨

(٥) محمد عضيمة ، دراسات لاسلوب القرآن ،ج٢ ،ص٩١

واعلم أنَّه تعالى لما أقام الدلالة على صحة القول بالحشر والنشر ؛ ذكر بعض أحوال الكفار فقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٤ ﴾ فقوله سبحانه : أليس هذا بالحق التقدير :يقال لهم: أليس هذا بالحق ، والمقصود التهكم بهم والتوبيخ على استهزائهم بوعد الله ووعيده . (١)

معنى عرضهم على النار – كما مرَّ– هو تقريبهم منها، والكشف لهم عنها، حتى يروها كما قال تعالى: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ ﴾ [الكهف_٥٣] وقال تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾

[الفجر_ ٢٣] وهناك رأي آخر في الكلام قلب، وهو مروي عن ابن عباس وغيره ،قالوا: والمعنى ويوم تعرض النار على الذين كفروا قالوا وهو كقول العرب: عرضت الناقة على الحوض. يعنون عرضت الحوض على الناقة، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ۝١٠٠﴾ . (٢)

ومما ذكره صاحب الميزان من كون ما بعدها متعلقاً بها وبما قبلها يكون حكمها ممتنع الوقوف فذكر قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ ﴾ (٣) ذكرها في سورة الأنفال وهي متكررة في الأحقاف .

---

(١) الرازي ، مفاتيح الغيب ،ج٢٨، ص٣٠

(٢) المنياوي ، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي ،الأساليب والإطلاقات العربية،الناشر: المكتبة الشاملة، مصر،الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م،عدد الأجزاء: غير معروف ،ص١١٧

(٣) العبد ، فريال زكريا العبد ، الميزان في أحكام تجويد القرآن ، ،الناشر: دار الإيمان – القاهرة،عدد الأجزاء: ١،ص٢٢٧

المسألة السابعة : أما قوله تعالى : ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨﴾ [ص]

السورة مكية، ومما هو معلوم أنَّ العهد المكي كان جوَّه مشحوناً بالعناد والمكابرة والإنكار من قريش ، والآية الكريمة تُبرز لنا جانباً من أسباب الكفر والعناد لدى الكفار وذلك لمعرفة حالهم في شكِّهم في كلام الله تعالى وفساد تصوَّرهم عن الألوهية، وركونهم إلى تعدد الآلهة وتعجبهم من عقيدة التوحيد التي جاء بها رسول الله صلّى الله عليه وسلم وقولهم الذي ذكرته السورة الكريمة: ﴿أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾.(١)

إنَّ سبب هذا الشك هو الحسد لإعطاء النبوة له من بينهم وشكّهم هذا سيزول حين يجيء العذاب، فقال:﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾؛ أي: بل السبب في شكهم أنهم لم يذوقوا عذابي، فاغتروا بطول المهلة ولو ذاقوا عذابي على ما هم عليه من الشرك لزال عنهم ما بهم من الحسد والشك (٢) ولَصَدَّقوا ما جئتَ به من القرآن، ولم يشكوا فيه ، فهم لم يذوقوه إلى الآن وذوقهم له متوقع إلا أنْ يمسُّهم العذاب فيضطرون إلى التصديق.(٣)

---

(١) سعيد ، محمد رأفت سعيد ، تاريخ نزول القرآن، الناشر: دار الوفاء – المنصورة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م،ج١ ، ص٢٥٩

(٢) الالوسي ، روح المعاني ،ج١٢ ، ص١٦١

(٣) بتصرف ،الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج٤، ص٣٨٢

وفي مجيء (لمّا) دلالة على أنَّ ذوقهم العذاب على شَرَف الوقوع؛ لأنها للتوقع؛ أي: بل لم يذوقوا بعدُ عذابي، فإذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي حال ذوقهم سيخرج الأمر من كونه تهديداً لهم وتخويفاً فسيباشرون العذاب ويذوقونه ذوق الطاعم للأكل .(١)

وفيه تهديد لهم؛ أي: سيذوقون عذابي فيلجئهم إلى تصديقي ، وفيه إشارة إلى أنهم مستغرقون في بحر عذاب الطرد والبعد، ونار القطيعة، لكنهم عن ذوق العذاب بمعزل، لغلبة الحواس إلى أنْ يكون يوم تبلى السرائر. فتغلب السرائر على الصور، والبصائر على البصر، فيقال لهم: ذوقوا العذاب يعني: كنتم معذبين وما كنتم ذائقي العذاب. فالمعنى: لو ذاقوا عذابي، ووجدوا ألمه لما أقدموا على الجحود، دل على هذا قول الإمام علي رضي الله عنه : «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».(٢)

وفي قوله تعالى :﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾ فموقعه من هذا الكلام أنه تعالى يقول هؤلاء إنما تركوا النظر والاستدلال لأني لم أذقهم عذابي، ولو ذاقوه لم يقع منهم إلا الإقبال على أداء المأمورات والانتهاء عن المنهيات.(٣) وبيّن الله تعالى أنّ إنكارهم للذكر ليس عن علم بل هم في شك منه ،إضراب انتقالي بين سبب شكهم.(٤)

المسألة الثامنة : أما قوله تعالى:﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النبأ]

---

(١) بتصرف ، الهرري، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ،ج٢٤ ، ص٣٢٢

(٢) الهرري ، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ،ج٢٤ ، ص٣٢٢

(٣) الرازي ،مفاتيح الغيب ، ج٢٦ ،ص٣٦٩

(٤) بتصرف ، محمد عضيمة ، دراسات لاسلوب القرأن ،ج٢ص٧٢ ، ينظر ابن عطية ،ج٤ص٤٩٤ ، ينظر ابو حيان ، البحر المحيط ،ج٩ ،ص١٣٩

ورد لفظ الذوق في هذه الآية بصيغة الأمر حيث يأمر الله تعالى الملائكة بأنْ يُذيقوا الكافرين عذاباً زائداً عن العذاب الذي هم فيه فلا يزالون في زيادة ، ولو أمعنا النظر في الآيات التي تسبق هذه الآية ، لوجدنا أنَّ سبب ذوقهم العذاب هو ما دلّ عليه سياق الآيات وهما قضيتان عقائديتان مهمتان وهما ؛ تكذيبهم بالآيات وعدم رجاء الحساب ، اللذين يقتضيان حسن العمل ومن هنا نعلم ماهية النبأ العظيم الذي أخبر عن اليوم الآخر ، ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ أي كانوا منكرين بقلوبهم للحق ومصرين على الباطل ﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ يدل على أنهم كذبوا بجميع دلائل الله تعالى في التوحيد والنبوة والمعاد والشرائع والقرآن، وذلك يدل على كمال حال القوة النظرية في الرداءة والفساد والبعد عن سواء السبيل وقوله: ﴿كِذَّابًا ﴾ أي تكذيباً. والفاء في

﴿ فَذُوقُواْ ﴾ للجزاء، فنبَّه على أنَّ الأمر بالذوق معلل بما تقدم من قبائح أفعالهم، فأفادت الفاء عين فائدة قوله تعالى: ﴿جزآءً وفاقاً﴾.[1]

وفي الآية دلالة على المبالغة في التعذيب من جوانب منها: قوله تعالى﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ ﴾ ومعلوم أنَّ كلمة لن للتأكيد في النفي على الدوام وأنَّهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ٢٧﴾ ذَكَرَهم بالمغايبة وفي قوله: ﴿ فَذُوقُواْ ﴾ ذَكَرَهم على سبيل المشافهة وهذا يدل على كمال الغضب وأنه تعالى عدد وجوه العقاب ثم حَكَم بأنَّه جزاء موافق لأعمالهم ثم عدد فضائحهم، ثم قال: فذوقوا فكأنه تعالى أفتى وأقام الدلائل، ثم أعاد تلك الفتوى بعينها، وذلك يدل على المبالغة في التعذيب ،وفي الحديث «هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار، كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا بأشد منه».[1]

(١) بتصرف ،الرازي ، مفاتيح الغيب ،ج١،ص٢٠

وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات كما أشرنا ، وترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة، وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على أن الغضب قد تبالغ وبلغ أوجه.[٢]

ومما يزيد في البلايا عدم تناهي البلايا الممكنة أن أهل النار المخلدين فيها لا زال عذابهم بازدياد وأنهم كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد من ذلك، فيكون كل مرتبة منه متناهيا في الشدة وإن كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة .[٣] وعلى هذا نِعَم الله تعالى على المبتلي أيضاَ لا تحصى، وأجيب بأنها لحفظ الأصل إذ لولاها لألفوا ما أصابهم من العذاب أول مرة ولم يتألموا به ، وأنَّ العذاب لما كان للكفر والمعاصي وهي متزايدة في القبح في كل آن فالكفر مثلاً في الزمن الثاني أقبح منه في الزمن الأول وهكذا، وعلم الله تعالى منهم سوء استعدادهم واستمرارهم على ذلك اقتضى ذلك زيادة العذاب وشدته يوما فيوماً.[٤]

فهناك أحقاب يكون هذا عذابهم ثم تأتي أحقاب أخرى فيجمع إلى هذا العذاب عذاب آخر ، أو أنَّ المراد أنه كلما انتهى حقب جاء حقب آخر إلى ما لا نهاية. [٥]

قال قتادة عن أبي أيوب الأزدي عن عبدالله بن عمرٍو قال: لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية: ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نزيدَكُمْ إِلا عَذَابًا ﴾ قَالَ: فهم في مزيد من العذابِ ابداً ، إلا أنْ يشاء الله تعالى [١]

---

(١) بتصرف ،الرازي ، مفاتيح الغيب ج٣١ ،ص٢٠

(٢) بتصرف ،الزمخشري ، الكشاف ،ج٤، ص٦٩٠

(٣) بتصرف ،الالوسي ، روح المعاني ،ج٧، ص٢١٥

(٤) بتصرف ،الالوسي ، روح المعاني ، ج٧ ، ص٢١٥

(٥) سعيد حوى ،الاساس في السنة وفقهها ،ج٣، ص١٣٧٧

لو أمعنا النظر في جميع آيات هذا القسم نجدها قد اشتركت جميعها بذوق العذاب ، ومجيء العذاب من غير وصف وعدم إضافته إلى شيء ، بخلاف كثير من الآيات ، فإنّها قد وصفت هذا العذاب مثل عذاب غليظ أوعذاب شديد وما إلى ذلك ، وكذلك ورود العذاب مُعرّفاً يشير ذلك إلى اشتمال أنواع العذاب الذي لا يعلم حقيقته وماهيته إلا الله تعالى ، وثمة ملحظ آخر أنّ الله تعالى ذكر وبيَّن في أغلب الآيات سبب إذاقة العذاب ، وهذا لحكم عظيمة منها بيان حال الكفار وما حلَّ بهم حتى لا يكونوا قدوة لغيرهم، وللاعتبار من هذه الأحوال وعدم الوقوع في ما وقعوا فيه ، ولإجتناب أسباب ذوق العذاب .

---

(١) ابن كثير ، نفسير القرآن العظيم ،ج٨ص٣٠٧

المطلب الثاني

(الذوق مع عذاب الحريق)

١. قال تعالى ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ [ال عمران]

٢. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنفال]

٣. قال تعالى﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴾ [الحج]

٤. قال تعالى﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحج]

يظهر بعد التأمل في سياق الآيات التي وردت فيها لفظ الحريق وهي خمس آيات فقط في كتاب الله منها أربعة جاء معها لفظ ذوق الحريق ، وأحد هذه الايات خاص بأهل الكتاب وجعلته في المبحث الثاتي من هذا الفصل . وعذاب الحريق ؛ عذاب محرق زائد من عذاب جهنم مما ينبأ عن أنه جزاء لذنب آخر. وعند القاء النظر في سياق الآيات نجد أنَّها ذكرتْ بعض أحوال أهل الأيمان مع أهل الكفر والشرك والنفاق وما كان بين الفريقين من أحداث وأمور ، فسورة آل عمران عالجت مسائل من مجادلة نصارى نجران وقصتي بدر وأُحد وتكلمت عن

أحداث هذا الوفد وعن أحداث تلك المعركتين، كذلك تناولت سورة الأنفال بعض أحداث معركة بدر وحال أهل الايمان مع أهل الكفر وتناولت سورة الحج بعض أحداث معركة بدر كما وردت بذلك السنة إذ أخرج البخاري في صحيحه عنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: ((أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) وقال قيسُ بن عباد وفيهم أنزلت : ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾ [الحج: ١٩] قَالَ: " هم الذين تبارزوا يوم بدر : حمزة وعلي وعبيدة ،أو أبو عبيدة بن الحارث ،وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ،والوليد بن عتبة ".[١]

وفيها الإذن بالقتال وسورة البروج ذكرت فتنة أهل الكفر والشرك للمؤمنين، فسياق الآيات في المخاصمة والمجادلة والمقاتلة بين الفريقين والله أعلم.[٢]

ويتبين من ذلك أنّ عذاب الحريق هو زيادة عن عذاب جهنم ؛ لأنّهم ساموا المسلمين سوء العذاب سواء التعذيب النفسي أو الجسدي مع فتنتهم لهم فجاء العذاب مناسبا لجرمهم.

ومعنى الحرق في أصل اللغة كما يقول ابن فارس: " الحاء والراء والقاف أصلان: أحدهما حكُّ الشَّيء بالشيء مع حرارة والتهاب، وإليه يرجع فروعٌ كثيرة. والآخَر شيءٌ من البَدَن. فالأول قولهم حَرَقْتُ الشيءَ إذا برَدْتَ وحككْتَ بعضَهُ ببعض. والعرب تقول: "هو يَحْرُقُ عليك الأُرَّم غَيظاً"، وذلك إذا حكَّ أسنانَه بعضَها ببعض. والأُرَّم هي الأسنان.[٣]

(١) البخاري ، صحيح البخاري ، باب المغازي ، ج٥ ،ص٧٥، برقم ٣٩٦٥
(٢) ينظر ، الالوسي ، روح المعاني ، ج١٥ ،ص٢٩٤
(٣) ابن فارس ، مقاييس اللغة ،ج ٢، ص ٣٥

وقال الراغب "يقال: أَحْرَقَ كذا فاحترق، والحريق: النّار ... فَحَرْقُ الشيء: إيقاع حرارة في الشيء من غير لهيب، كحرق الثوب بالدّق، وحَرَقَ الشيء: إذا برده بالمبرد، وعنه استعير: حرق الناب، وقولهم: يحرق عليّ الأرّم ، وحرق الشعر: إذا انتشر، وماء حُرَاق: يحرق بملوحته، والإحراق: إيقاع نار ذات لهيب في الشيء، ومنه استعير: أحرقني بلومه: إذا بالغ في أذيّته بلوم"(١)

والحريق اسم "من أسماء جهنم .(فعيل) بمعنى (مفعول) كالأليم بمعنى المؤلم . أو سميت باسم صاحبها أي ذات حرقة . والمعنى: ينتقم منهم فيقول لهم ذوقوا عذاب النار كما أذقتم المسلمين جرع الغصص ".(٢)

المسألة الأولى : قوله تعالى في سورة الأنفال : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ﴾ [الأنفال]

وبالرجوع إلى الآية السابقة من آل عمران نجد أنَّ الآيتين أشتركتا في بيان أسباب ذوقهم العذاب وهو بما قدمت أيديهم وهو ظلمهم للمسلمين وقتلهم وتكذيبهم الأنبياء بغير حق ،وأنَّ

---

(١) الراغب ، المفردات في غريب القرآن ،ج١ ،ص٢٢٩

(٢) حسين القمي، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان،دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م ط١ عدد الأجزاء / ٦ تحقيق: الشيخ زكريا عميران ج ٢ ،ص ٣٢٠

النتيجة واحدة وهو إذاقتهم عذاب الحريق ، وحرقت الشيء حَرْقاً وأَحرقته. قال الفرّاء[١]: الحَرْقة والحُرْقة. وأَحرقه بالنار وحرّقه شُدد للكثرة. [٢]

وبالرجوع إلى سياق سورة الأنفال عند الحديث عن معركة بدر نجد أنَّ الآيات ختمت بقوله تعالى﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّ ....﴾ الآية ثم ذكر تعالى أنَّ هذا العذاب مثل عذاب من عذب من قبل بقوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ ﴾ [الأنفال: ٥٢] . ثم قال بعد آية: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ ﴾[الأنفال ٥٤] وذكر في الآية الأولى عقوبته إياهم عند الموت كما فعل بآل فرعون ومن قبلهم من الكفار، وذكر في الثانية ما يفعله بهم بعد الموت كما فعله بآل فرعون، ومن قبلهم، فلم يكن تكراراً ، فظهر أنَّ الأول إخبار عن عذاب لم يُمكِّن اللهُ أحداً من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم إذا أقبلوا وأستاههم وظهورهم إذا أدبروا ، عند نزع أرواحهم. والثاني: إخبار عن عذاب مكَّن الناس من فعل مثله وهو الإهلاك والإغراق .[٣]

وعلَّق الكرماني بالجواب نفسه إذ يقول: أخبر الله تعالى عن إجراء العادة فيهم بنوعين من العذاب مختلفين، وإذا كان كذلك لم يكن تكراراً، لأنه ذكر في الآية الأولى عقوبته إياهم عند الموت، والبشارة التي أتتهم بعذاب الحريق، وأنه فعل بهم ذلك كما فعله بآل فرعون، من كان

---

(١) بتصرف ،الفراء ،معاني القران، ج ٢، ص١٩١

(٢) الفيروزآبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ) ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تح: محمد علي النجار ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة عدد الأجزاء: ٦ ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]ج٢ ص٤٥٣ ، عام النشر: جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م جـ ٦: ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م

(٣) بتصرف ، الاسكافي ،أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ)، درة التنزيل وغرة التأويل، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد مصطفى آيدين الناشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م عدد الأجزاء: ٣ ، ج ١ ،ص ٣٦٧

قبلهم من الكفار، ثم ذكر في الثانية ما يفعله بهم من شدة عقابه بعد الموت كما فعله بآل فرعون ومن كان قبلهم من الكفار، وما أجرى عليه العادة في تعذيبه إياهم بعد الموت في القبور وغيرها، ثم استمر الخطيب قائلا: والجواب عندي: أنه أخبر في الأولى عما عاقبهم به من العذاب الذي لم يملك الناس إيقاعه، ولم يكن بعضهم من أن يفعل ببعض مثله، وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم، وإخبارهم إياهم بمصيرهم إلى عذاب يحرقهم، وفي الثانية أخبر عما أنزله بهم من العذاب الذي مكن الناس من فعل مثله، وهو الإهلاك والإغراق، لأن ذلك مما أقدر الله تعالى العباد عليه .[(١)]

فـ " المراد في الأول ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ فيما فعلوا وفي الثاني ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ ، فيما فُعل بهم فهم فاعلون في الأول ومفعولون في الثاني ومنها أن المراد بالأول كفرهم بالله ، وبالثاني تكذيبهم الأنبياء ؛ لأنَّ التقدير: كذبوا الرسل بِرَدِّ آيات ربهم.[(٢)]

(١) الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ)، أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، تح: عبد القادر أحمد عطا مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض دار النشر: دار الفضيلة عدد الأجزاء: ١، ص ١٣٢

(٢) ينظر، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان،دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م ط١ عدد الأجزاء، ٦ تحقيق: الشيخ زكريا عميران ج ٢ ،ص ٣٢٠

ينظر ،السنيكي ، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ)، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ، تح: محمد علي الصابوني الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان ط١، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م عدد الأجزاء: ١ ص ٢٢٢

وذوقوا عذاب الحريق : يقولون لهم ذوقوا مقدمة عذاب النار، أو ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به، أو يقال لهم ذلك يوم القيامة والمعنى: لو رأيت ذلك لرأيت أمراً فظيعاً.(١)

وإنَّما خصّ الوجوه والظهور؛ لأنَّ مسَّ العذاب لهما أعظم موقعاً ولكثرة ما يستعمل ذكرهما في دفع المضرة عن النفس ، وفي ذكر وتصوير هذه الأحداث فيها من مقام إذهاب الحزن ، وتسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم.(٢)

المسألة الثانية : أما الآيات التي في سورة الحج وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴾ [الحج]

وقوله تعالى﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ **[الحج]**

الآية الأولى: سبق لفظ الذوق آيات مجادلة ومشككة في وجود الله تعالى أو في شيء من أسمائه وصفاته ولكن هذه المجادلة والمخاصمة ليست نابعة عن إيمان ولا عن علم ولا أثارة من شيء ، ولا يُراد بها أن تُبصر الحق لتتبعه إنَّما هو عن هوى النفس ، وصورة العجرفة الممقوتة مرسومة بحركة ثاني عطفه مائل مزور بجنبه عن الآخرين وهذه العجرفة تدفعه إلى

---

(١) سعيد حوى ، الاساس في التفسير ،ج٤ ، ص٢١٨٨

(٢) الرازي ، مفاتيح الغيب ،ج٢٢، ص١٤٦

الجدال، فقابل الله تعالى هذه العجرفة بالخزي ثم يمتد هذا الخزي في صورة عذاب الحريق الحسية يوم القيامة. والعطف: الرقبة والمعنى: لاوياً عنقه عن طاعة الله كِبراً وخيلاء، متبختراً، متكبراً، وهذا تعليل للمجادلة في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ويجادل ليضل عن دين الله فتوعده الله تعالى بالخزي في الدنيا.(١)

فالإهانة والذل له لما استكبر عن آيات الله لقَّاه الله المذلة في الدنيا وعاقبه فيها قبل الآخرة لأنها أكبر همّه ومبلغ علمه. وعذاب الحريق التي تحرق داخليها ، جمع له عذاب الدارين ،كل ما سينال بسبب ما قدم في الدنيا ، من الكفر والكبر ، وذكر اليد ؛ لأنّها آلة الكسب . وأنَّ الله ليس بظلام للعبيد أي فلا يأخذ أحدا بغير ذنب، ولا يأخذ أحدا بذنب غيره، وذكر الظلام بصيغة المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع، وهو العبيد، ولأن قليل الظلم منه مع إحاطة علمه واستغنائه كالكثير منا، وهذا الكلام يقال لهم تقريعاً وتوبيخاً.(٢)

وثمة ملحظٌ يجب الإشارة إليه وهو أنَّ جميع الآيات التي توعد الله بها الكافرين بإذاقتهم عذاب الحريق ،ذكر معها كسب اليد التي هي الآلة التي يتزود منها الإنسان ، وهي تعبير بالجزء عن الكل.

الأية الثانية : قوله تعالى ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ .... ﴾، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنَّه كان يحلف بالله أنَّ هذه الآية نزلت في ستة نفر من قريش تبارزوا يوم بدر: حمزة وعلي

---

(١) بتصرف ،الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج٢٣ ص٢٠٧ ، وبتصرف ، عبد السلام أحمد الراغب ،وظيفة الصورة الفنية في القرآن،الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م،عدد الاجزاء :١ ،ص٣١١

(٢) سعيد حوى ،الاساس في التفسير ج٧ ، ص ٣٥٣١

وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، وقال علي رضي الله عنه أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الله تعالى يوم القيامة.(١)

و﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾، قيل يعني فوجان أو فريقان ، وعلى قول: هم المؤمنون والكافرون ، أما الفريق الثاني الذين قطعت لهم ثياب من نار ، وهذا مما لايقدر عليه إلا الله تعالى ، وواجب الإيمان به ذلك المنظر الفظيع الذي لا يكاد يتصوره العقل من الهول والشدة والفظاعة وقد قطعت لهم تلك الثياب من النار ولك أنْ تتخيل هذا البينَ حالهم يوم القيامة بأن لما أرادوا أنْ يخرجوا منها من غم فخرجوا أعيدوا فيها، ومما هو معلوم أنَّ الإعادة لا تكون إلا بعد الخروج ، ومعنى الخروج: أنَّ النار تضربهم بلهبها فترفعهم، حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق: الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك.(٢)

وجاء لفظ التقطيع: للمبالغة فالقطع، وهو فصل بعض أجزاء شيء عن بقيته. ويراد به : قطع شقة الثوب. وذلك أنَّ الذي يريد اتخاذ قميص أو نحوه يقطع من شقة الثوب ما يكفي كما يريده، فصيغت صيغة الشدة في القطع وفي ذلك اشارة إلى السرعة في إعداد ذلك لهم فيجعل لهم ثياب من نار، والثياب من النار ثياب محرقة للجلود وذلك من شؤون الآخرة.(٣)

وهناك مقابلات بين آيات الكافرين والمؤمنين ، "فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾ مقابل قوله: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ

(١) الرازي ، مفاتيح الغيب، ج٢٣ ،ص٢١٥

(٢) بتصرف ،الزمخشري ، الكشاف ،ج٣ص١٤٩والرازي ،مفاتيح الغيب ،ج٢٣ ص٢١٥

(٣) بتصرف ،ابن عاشور ، التحرير والتنوير ،ج١٧،ص٢٣٠

فِيهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ يقابل ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ وقوله: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ مقابل قوله: ﴿ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ وقوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ مقابل قوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ فإنه من القول النكد". [١]

والذي نستنتجه من هذا أنَّ الله تعالى قد جرت سنته بأن يعذب من يكذب بآياته ويكفر بها ويضيف مع كفره أذية أولياء الله، سيعذبه تعالى بنوعين مختلفين من العذاب ويعتضد ذلك بقول بعض أهل العلم رحمهم الله كقول الفيروزآبادي: " وقوله تعالى﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي لهم عذاب بكفرهم، وعذاب إحراقهم المؤمنين.[٢] وقول نظام الدين النيسابوري: "والمعنى: ينتقم منهم فيقول لهم ذوقوا عذاب النار كما أذقتم المسلمين جرع الغصص ".[٣]

ومن ذلك " نَصْلٌ حَرِقٌ: حديد (حادّ ينفذ إلى العمق ويقطعه فيحول حقيقته). وحَرَق الحديد بالمبرد نصر وضرب): بَرَده (إذ البَرْد يحوّله ذَرات ذاهبة وهو يتجه إلى داخل جسم الشيء أي إلى عمقه). والحرْق –بالفتح: الأَكْل المسْتَقصِي " (إفناء) وتأمل كذلك "الحريق: ما أحرق النباتَ من حرّ أو برد أو ريح أو غير ذلك من الآفات " (فليس الإحراق خاصًّا بالنار).[٤]

وتتضح مناسبة مجيء لفظ الذَّوق مع عذاب الحريق الذي هو: " مباشرة الحاسّة الظَّاهرة أَو الباطنة، ولا يختصّ ذلك بحاسة الفم في لغة القرآن، بل ولا في لغة العرب ... حتىَّ يدلَّ على

(١)ابن عاشور ، التحرير ،ج١٧ ،ص٢٣١

(٢) الفيروزآبادى ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج٢ ص٤٥٣

(٣) نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ج ٢ ،ص ٣٢٠

(٤) الهروي ، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ) ، الغريبين في القرآن والحديث ، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م عدد الأجزاء: ٦ (في ترقيم واحد متسلسل) ج ٢ ، ص ٤٢٦

مباشرة الذوق وإحاطته وشموله، فأفاد الإخبارُ عن إذاقته أنَّه واقع مباشر غير منتظر؛ فإنَّ الخوف قد يُتوقَّع ولا يباشر وفى الصحيح عن النَّبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((ذاقَ طعم الإيمان مَن رَضِيَ باللهِ ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمّد رسولاً)) [1] فأخبر أنَّ للإيمان طعمًا، وأنَّ القلب يذوقه كما يذوق الفم طعمَ الطَّعام والشَّراب " . [2]

قال أبو هلال العسكري: " السعير هُوَ النَّار الملتهبة الحراقة هُوَ النَّار الملتهبة الحراقة أَعنِي أَنَّهَا تسمى حريقا فِي حَال إحراقها للأحراق يُقَال فِي الْعود نَار وَفِي الْحجر نَار وَلَا يُقَال فِيهِ سعير والحريق النَّار الملتهبة شَيْئا واهلاكها لَهُ وَلِهَذَا يُقَال وَقع الْحَرِيق فِي مَوضِع كَذَا وَلَا يُقَال وَقع السعير فَلَا يَقْتَضِي قَوْلك السعير مَا يَقْتَضِيهِ الْحَرِيق وَلِهَذَا يُقَال فلَان مسعر حَرْب كَأَنَّهُ يشعلها ويلهبها وَلَا يُقَال محرق والجحيم نَار على نَار وجمر وجاحمه شدَّة تلهبه وجاحم الْحَرْب أَشد مَوضِع فغيها وَيُقَال لعين الْأسد جحمة لشدَّة توقدها وَأما جَهَنَّم فَيُفِيد بعد الْعقر من قَوْلك بِئْر جهنام إِذا كَانَت بعيدَة القعر ".[3]

وكل أمر فيه شِدّة وقوة حتى لو كان عذابين أحدهما أشدّ من الآخر فالأشدّ يأتي بالتذكير ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠ ﴾ ﴿ يَتَوَفَّى ﴾ جاءت بالتذكير لأن العذاب أشد ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ أما في قوله

(١) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج٣،ص٢٩٩،برقم ١٧٧٨
(٢) الفيروزآبادي ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج٢، ص٤٥٣
(٣) ابو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، ص ٢٧٨

تعالى في سورة محمد الآية﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ﴾ [محمد_٢٧] فنجد أن (تتوفاهم) جاءت بالتأنيث؛ لأن العذاب اخف من الآية السابقة. [١]

المطلب الثالث

((الذوق مع عذاب الخلد))

قال تعالى ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[يونس]

قال تعالى ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [السجدة]

ورد لفظ عذاب الخلد مرتين في القران الكريم وكلاهما مقترناً بلفظ الذوق ، وأسباب ذوقهما لهذا النوع من العذاب هو الكسب والعمل ،كما جاء في قوله تعالى في الآية الأولى ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾وفي الآية الثانية ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ و (عذاب الخلد)؛ هو العذاب الدائم الذي لا ينقطع." [٢]

---

(١) السامرائي ، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، أسرار البيان في التعبير القرآني ، (هذه هي المحاضرة المفرغة، ونصها يختلف عن الكتاب المطبوع الذي يحمل نفس الاسم) [الكتاب مرقم آليا] ، ج١ ص٢٤

(٢) الناصري ، محمد المكي الناصري (ت: ١٤١٤هـ) ، التيسير في أحاديث التفسير ،الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م

فـ " الخاء واللام والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الثبات والملازمَة، فيقال: خَلَدَ: أقام، وأخلَدَ أيضا. ومنه جَنَّةُ الخُلْد ... ويقولون رجلٌ مُخْلَدٌ ومُخْلِد، إذا أبطأ عنه المشِيب. وهو من الباب، لأنَّ الشَّباب قد لازمَه ولازَمَ هو الشباب. ويقال أخْلَدَ إلى الأرض إذا لَصِق بها."(١)

و" الخُلُود: هو تبرّي الشيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وكلّ ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود، كقولهم للأثافي: خوالد، وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها... والخَلْدُ: اسم للجزء الذي يبقى من الإنسان على حالته، فلا يستحيل ما دام الإنسان حيّا استحالة سائر أجزائه، وأصل المُخَلَّد: الذي يبقى مدّة طويلة ومنه قيل: رجل مُخَلَّد لمن أبطأ عنه الشيب " (٢)

وعند استقراء ما في القرآن من مادة (خ ل د) نجدها "جاءت فيه بصيغ عدة سبعاً وثمانين مرة، يضيف إلى الدلالة اللغوية ملحظاً هاماً من خصوص الدلالة القرآنية للخلود، فلا خلود في القرآن إلا في الحياة الآخرة: في دار الخلود، أو في عذاب الخلد. وحيث يأتي الخلود متعلقاً بالحياة الدنيا، على وجه الوهم أو الإنكار والنفي والذم ، كالذي في آيات: الشعراء ١٢٩: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ وفي سورة الهمزة ٣: ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾ وفي سورة الأنبياء ٣٤: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ولا غنى عن هذا الملحظ في فهم الدلالة الإسلامية للكلمة القرآنية." (٣)

---

(١) ابن فارس ،مقاييس اللغة ،ج ٢ ، ص١٦٧

(٢) الراغب ،مفردات غريب القرآن ، ٢٩٢

(٣) بنت الشاطئ ،عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت: ١٤١٩هـ) ،الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، الناشر: دار المعارف الطبعة: الثالثة عدد الأجزاء: ١، ص ٣٥٣

وعذاب الخلد من باب إضافة الموصوف إلى الصفة في الظاهر نحو: رجل صدق، فالأمر لهم على سبيل الإهانة بذوق عذاب الخزي والخجل ، ثم بذوق العذاب الخالد . (١)

نجد أنَّ الآيتين قد سبقهما أمران مهمان من مسائل العقيدة في الآيات التي قبلها ، وهي من الأمراض المتفشية في الأمم الماضية ، التي هي من أركان الإيمان ومن أجلها بُعث الأنبياء والرُسل ،وهي مسألة التشكيك والاستهزاء واستبعاد اليوم الآخر والبعث بعد الموت وتكذيب ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أم يقولون أفتراه ﴾ وقوله تعالى:

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾وهو استبعاد مجيء يوم القيامة، وقوله تعالى ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ﴾ (٢) وهو انكار البعث ، وورود الاستفهام في هذه الآية مرتين يدل على الاستبعاد والسخرية منهم بحدوث ذلك وجمع رفاتهم ، بعد أن اختلطت بالتراب ، لسان حالهم يقول هيهات هيهات ، نجد أنّ هذه الآيات هي المحور الرئيس للموضوع ، ومن أجل كل هذا، ناسب مقام هذه الافعال، ما توعدهم الله به من العذاب الدائم الذي لا يفتر ولا ينقطع ،وهذا كله سببه الظلم والافساد .

وفي قوله تعالى : ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ وفي هذا توبيخٌ لهم أي الآن تؤمنون به بعد معاينتكم اياه ، ومن قبل قد كنتم به تستعجلون تكذيبا به واستكبارا عليه . (٣)

---

(١) حسين القمي ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ،غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ج ٥ ، ص ٤٣٧

(٢) ينظر المراغي ، تفسير المراغي ، ج١١،ص١١٦

(٣) بتصرف ، المراغي ، تفسير المراغي ،ج١١ ،ص١١٨

وفي قوله تعالى :﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ ﴾ أي ثم قيل للذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالرسالة والوعد والوعيد تجرعوا عذاب الله الدائم لكم أبدا بحيث لا فناء له ولا زوال. وبين أن هذا العذاب جزاء ما صنعوا فى الدنيا فقال ﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ أي لا تجزون إلا بما كنتم تكسبون باختياركم من الكفر والظلم والفساد فى الأرض والعزم على الثبات عليه وعدم التحول عنه، وليس فى هذا الجزاء شىء من الظلم، أي أن الله تعالى حكمه عدل ولم يظلم أحداً ولم يمنع احداً من الايمان لما جاء ولم يقتصره على أحدٍ من الناس . [(١)]إن اكتسب ، إذا اجتمع مع كسب خص بالعمل الذي في تكلف ،ولم يرد التعبير باكتسبت في جانب فعل الخير. [(٢)]

وقوله تعالى لهم على صيغة الأمر بإذاقتهم العذاب ﴿ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ ﴾ تثير سؤالا في نفوسهم عن مقدار ذلك العذاب فيكون الجواب على أنه على قدر فظاعة ما كسبوه من الأعمال مع إفادة تعليل تسليط العذاب عليهم . [(٣)]

وتأويل النسيان في السجدة ههنا الترك، المعنى فذوقوا بما تركتم عمل لقاء يومكم هذا فتركناكم من الرحمة.[(٤)]

(١) بتصرف ، المراغي و تفسير المراغي ،ج١١،ص١١٨
(٢) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ،ج٣،ص١٣٨
(٣) بتصرف ، ابن عاشور ، التحرير والتنوير ،ج١١،ص١٩٥
(٤) الزجاج ،معاني القرآن واعرابه ، ج٤ ، ص٢٠٦

وهذا يحمل على أكثر من وجه ؛ إشارة إلى اليوم، أي فذوقوا بما نسيتم لقاء هذا اليوم أو أن يكون إشارة إلى لقاء اليوم، أي فذوقوا بما نسيتم هذا اللقاء أو أن يكون إشارة إلى العذاب، أي فذوقوا هذا العذاب بما نسيتم لقاء يومكم، ثم قال إنا نسيناكم، أي تركناكم بالكلية غير ملتفت إليكم كما يفعله الناسي قطعا لرجائكم، ثم ذكر ما يلزم من تركه إياهم كما يترك الناسي وهو خلود العذاب، لأن عذاب الله لا مفر منه ،ومن لا يخلصه الله فلا خلاص له، فقال: وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون . (١)

أي أن هذا النسيان مقصود ومتعمد من الله تعالى على سبيل الاستمرار واستدامة العذاب لهم ،لإهانتهم وتوبيخهم ولا شيء غير ذلك ، ليتحقق فيهم ويتجسد عذاب الخلد الذي توعدهم الله بهم ،وثمة إشارة أخرى يجب التنبه لها وهي أن صفة النسيان لا تليق بالله تعالى، كما أخبر عن نفسه تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾ وقوله تعالى ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢ ﴾[طه] ولكن النسيان جاء على سبيل التهكم كما أشرنا .

ومناسبة إتيان لفظ الذوق مع عذاب الخلد تظهر أنهم يتذوقون شدة العذاب وألمه على وجه الملازمة والدوام مع الهوان والخزي ليزدادوا غما إلى غمهم وعذاباً إلى عذابهم، كأنه يقال لهم في كل وقت: أنتم خالدون في هذا العذاب لا يفتر عنكم ولا تتغير حالكم . نسأل الله السلامة والعافية، والله أعلم .

---

(١) بتصرف ، الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج٢٥،ص١٤٦

المطلب الرابع

((الذوق مع العذاب الغليظ))

قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾[فصلت]

بعد استقراء الآيات تبين أنَّ العذاب الغليظ ورد أربع مرات في القرآن الكريم ، مرة مع ﴿ نَجَّيْنَٰهُم ﴾ ، ومرة مع ﴿ وَرَآئِهِۦ ﴾ ، ومرة مع ﴿نَضْطَرُّهُمْ﴾ ، ومرة مع ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم ﴾ وهذه الأخيرة التي نحن بصددها ، أما الغليظ وحده أيضاً ورد أربع مرات إضافة لما ورد آنفاً ،مرة مع القلب ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾[آل عمران١٥٩] وثلاث مرات مع الميثاق﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء – ٢١-١٥٤]، وفي قوله تعالى ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الاحزاب] ، ومرة مع العذاب ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

والغلظة ضد الرقة، ويقال غِلْظَةٌ وغُلْظَةٌ، وأصله أنْ يستعمل في الأجسام لكن قد يستعار للمعاني كالكبير والكثير، قال: ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ﴾ [التوبة ١٢٣] أي خشونة وقال: ﴿ ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ وقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ وقد يقال إذا غلظ، قال تعالى : ﴿ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ واستغلظ تهيأ لذلك.(١)

(١) الراغب ، مفردات غريب القرآن ، ٣٦٤

و " أخذ منه ميثاقاً غليظاً، ونكى فيهم نكايات غليظة، وغلظ على خصمه، وفي فلان غلظة. " وليجدوا فيكم غلظةً " وما أغلظ طباعهم، وأغلظ له في القول، وحلف له بأغلظ الأيمان، ومالك تغالطني وتغالظني، وتعارضني وتغايظني."(١)

ومن خصائص الأسلوب القرآني الكريم: تصوير المعاني وإظهارها بكلمات تكاد أنْ تجعلها بصورة المحسوس حتى تهمَّ بلمسها بيديك وحتى تلجَ إلى ذهنك مترابطة متكاملة، لا تكلف ذهنك مشقة تركيبها، ولا تثقله بمهمة تجميعها، فتقسره قسراً على الفهم والإدراك، وتصوير المعاني يكون أحياناً بطريقة التجسيم أي بجعلها في صورة مجسمة قابلة للوزن والكثافة، حتى أنَّ الإنسان يعيش معها معتقدا وحاسّاً بوجودها ،فقد وصف الله سبحانه العذاب بأنَّه غليظ في قوله سبحانه: ﴿ وَمِنْ وَرَابِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ واليوم بأنه ثقيل: ﴿ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ فنقل العذاب من كونه معنى مجردًا إلى شيء ذي غلظ وسمك كما نقل اليوم من زمن لا يمسك إلى شيء ذي كثافة ووزن. (٢)

فإذا جئنا للآية الكريمة فإنها تكشف لنا هذه الآية وتصور لنا طبيعة الانسان وتقلبات أحواله في الحياة الدنيا مع النعيم المسداة اليه من رب العالمين وكيفية غرور الانسان إذا ما أذاقه الله تعالى شيئاً من تلك الرحمة ، وبمجرد إذاقته ، يغتر ويُنسب ما وقع به وما حصل عليه الى نفسه متكبراً ، وينسى أنَّ المنعم والمتفضل هو الله ، ثم يواصل الغرور ليخوض في ما هو أكبر وأفظع من ذلك ليوصله إلى الهلاك وإلى استحقاق نزول العذاب به ، فيقوم لينكر يوم القيامة ،

---

(١) الزمخشري ، أساس البلاغة ، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) ،تح: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م عدد الأجزاء: ٢ ج ١ ، ص ٧٠٧

(٢) الرومي ، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم ، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ،عدد الأجزاء: ١ ، ص ٦١

على لسان الحال والمقال بقوله : ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ [الكهف :٣٦]، ثم بعد ذلك ليشكك فيها إنْ كان هناك مرد ، فإنَّ لي عنده للحسنى ، أي إذا بعثت كما تزعمون فإنَّ لي عنده للحسنى بما علمه من خير مني، "فالمعنى أنه قال: لست أؤمن بالبعث ولا أصدق به، فإنْ كان الأمر على خلاف ذلك وبعثت بعد موتي، فلي عند ربي مال وغنى أقدم عليه" . (١)

وغلظ العذاب مناسب للشعور بوطأته على جسوم الآثمين، فالانتقال من حسّية إلى حسية أعمق تأثيرا، وأنه لما عظم الجرم من انكار البعث والتكذيب والكفر، فقد ناسب هذا المقام هذا العذاب الذي توعده الله به ووصفه بالغليظ، بعني تحمل أكثر من صفة ، فيها العذاب وفيها الغلظة ،ومثله مما يعضده قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ «٧» فقد عدل عن الإحراق إلى التّحطيم، لأن إيلام النار المحطّمة ، (٢) هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد. (٣)

كذلك تضيف شيئاً آخر إلى حسية التذوق، والاهتمام بهذا أجدر من التأكد، إنْ كان العرب ذكروا مثل هذه الاستعارة أو تلك أو لم يذكروا، وكان من الممكن أنْ يقال (عذاب عظيم)

---

(١) بتصرف ، القرطبي ، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) ،الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه،المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي ،الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ عدد الأجزاء: ١٣،ج١٠،ص٦٥٤٦

(٢) بتصرف ،أحمد ياسوف ، جماليات المفردة القرآنية ، ص ٢٩٧

(٣) حسين القمي ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج ٤ ، ص ١٨٣

كما يرد في غير مكان، ولكنه البيان القرآني الذي يفضّل حسية كل معنوي ليس مراعاة للعرب، بل موافقة للجنس البشري. (١)

وحسية التجسيم لا تُطلب لذاتها، بل لما يأتي بعدها من إيحاءات نفسية، قال ابن الأثير: " وأما فائدة التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثّلتَ الشيء بالشيء، فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبّه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه".(٢) وإنَّ عبارة "تشبيه المعقول بالمحسوس" لا تختلف عن مفهوم التجسيم إلا اختلافا اصطلاحيا لا يمسّ المضمون. (٣)

ومن الشدة البالغة مع الحدّة ﴿عَـذَابٍ غَلِـيظٍ ﴾ حيثما جاءت، ووصْف ملائكة النار بالغلظة ﴿عليها ملائكة شدادٌ غِلاظ﴾، ومما أُمِر به صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كالغلظ المقصود به عظم شدَّة الوثاقة: ﴿ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ مؤكَّدًا مشدَّدًا (٤)

وإذا كانت الصورة هنا تعبّر عن شدة إغلاق منافذ الإدراك والمعرفة بالختم والطبع، فإنَّها تعبر في سياق آخر عن شدة العذاب، بوصفه بالغلظ، لتجسيمه، والإيحاء بشدته وعنفه كقوله ، ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ﴾ كما في فصلت . (١)

---

(١) احمد ياسوف ، جماليات المفردة القرآنية ،ج١ ،ص١١٨

(٢) ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ) ،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة ،الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة ،عدد الأجزاء: ٤،١، ٣٩٤.

(٣)احمد ياسوف ، جماليات المفردة القرآنية ،ص ١١٨

(٤) جبل ، محمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) المؤلف الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة ط١، ٢٠١٠ م. عدد الأجزاء: ٤،ج٣ ،ص١٦٠٢

المطلب الخامس

((الذوق مع العذاب الكبير))

قال تعالى ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًاۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾**[الفرقان]**

ورد لفظ العذاب الكبير في القرآن الكريم مرة واحدة مقترناً بلفظ الذوق ، وسبق هذا اللفظ تكذيب القول من قبل آلهتهم التي كانوا يعبدون من دون الله ، ومن تمام وكمال عدل الله سبحانه وتعالى أنه لا يذيق هذا العذاب ولا يناله إلا أصحاب كبائر الذنوب وأكبرها الشرك بالله لمن مات عليه ولم يتُب منه .

في بداية الآية قوله تعالى ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾ يقول الله للذين كانوا يعبدون غير الله من الأنبياء مثل عيسى وعزير والملائكة ، حين يكذبون المشركين بقولهم ﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًاۚ ﴾ قال :لا يتمكنون من دفع صرف العذاب ولا نصر أنفسهم(٢)

والصرف: الحيلة من قولهم فلان يتصرف في الأشياء أي: فما يستطيعون أنْ يصرفوا عن أنفسهم العذاب ولا ينصروها.(٣)

---

(١) الراغب ، عبد السلام أحمد الراغب ، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، الناشر، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م عدد الأجزاء: ١ ،ص ١٣٥

(٢) السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،الدر المنثور في التفسير بالمأثور ،الناشر: دار الفكر – بيروت ،عدد الأجزاء: ٨، ج٦،ص٢٤٢

(٣) النحاس ، معاني القرآن للنحاس ، ج٥، ص١٥

﴿ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ ﴾ أي يشرك بالله تعالى ويجعل هذا الحق لغير الله تعالى ،بوضعها في غير موضعها، وباعتقاده في الرسل ما لا ينبغي من أنَّه لا ينبغي لهم أنْ يكونوا مثل الناس في أكل ولا طلب معيشة ونحو ذلك ﴿ نُذِقۡهُ ﴾ في الدنيا والآخرة، بما لنا من العظمة ﴿ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ . (١)

والكبير يتشعب منه أوجه في القرآن منها الشديد والزيادة والكثير والطول .(٢)عذابا كبيرًا لا يقادر قدره وهو عذاب النار ومن يظلم أي يكفر منكم أيها المكلفون ويعبد من دون الله تعالى إلها آخر كهؤلاء الكفرة نذقه في الآخرة عذابا كبيرا لا يقادر قدره وهو عذاب النار.(٣) ومعنى ومن يظلم حينئذ ومن يدم على الظلم. (٤)

وحقيقة الشدة والكبر في الإعراض إنَّما هي الزيادة في المقدار، فقولك: علا علوا شديدا أو كبيرا أي: علوا زائدا على علو من هو في درجته أو من جنسه أو ما أشبه هذا.(٥)

والشديد كما قال الله: ﴿ وَمَنْ يَظْلِـمْ مِـنْكُمْ نُذِقْـهُ عَـذَابًا كَبِـيرًا ﴾ بمعنى عذاباً شديداً وقال: ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ كل ذلك بمعنى شديد وذلك لا يكون إلا مع أكبر الكبائر فكما أن الشرك ظلم كبيرا ، قدر الله لـه من العذاب ما يناسب ذلك الجرم ،وقد سمى الله الشرك ظلما

---

(١) البقاعي ، نظم الدررفي تناسب الايات والسور ، ج١٣ ص٣٦٤

(٢) ابو هلال العسكري ، الوجوه والنظائر، ١ ،ص ٤١٤

(٣) ابو السعود ، ارشاد العقل السليم ، ج٦ ،ص٢٠٩

(٤)الالوسي ، روح المعاني ، ج٩، ص٤٤٢

(٥)ابو هلال العسكري ،الوجوه والنظائر، ج١ ،ص ٤١٤ وينظر، الفيروزآبادي ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ،ص ١٣٠٠

بقوله ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [1] ويتبين أن إذاقة العذاب الكبير يأتي على أكثر من معنى منها الشديد والكثير والثقيل وكل ما فيه معنى المبالغة في العذاب .

المطلب السادس

((الذوق مع عذاب النار))

قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾[الانفال]

قال تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[السجدة]

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[سبأ]

ورد لفظ عذاب النار في القرآن ثماني مرات ، ثلاثاً منها مقترناً بلفظ الذوق ، ولو أمعنا النظر في الآيات بالرجوع قليلاً للآيات التي قبلها والألفاظ التي قبل لفظ ذوق العذاب ، لوجدنا أنَّ سبب ذوقهم لعذاب النار كما في الآية الاولى هو مشاقتهم لله ورسوله أي مخالفتهم ومعاداتهم ومخاصمتهم لله ورسوله، وفي الآية الثانية سبب ذوقهم النار هو الفسوق ؛ والفسق هو الشرك

(١) العاني ، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ) ، بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول] ،الناشر: مطبعة الترقي ، دمشق ط١، ١٣٨٢ هـ ،١٩٦٥ م ، ج ٢ ، ص ٧٧

المخرج عن الإيمان ، أما الآية الأخيرة فنجد أنَّ سبب ذوق العذاب هو الظلم الذي بمعنى الشرك أيضاً؛ لاتخاذهم الملائكة آلهة من دون الله تعالى. ولو تفحّصنا الأسباب لوجدناها كلها من الكبائر التي توجب الخلود في جهنم لمن أدركته المنية ولم يعتقد خلاف ما كان عليه فلما كان الذنب جسيماً ، كانت العقاب عظيماً .

ولو بحثنا معنى النار لوجدنا أنه : هو اللهب الذي يبثُّ الحرارة والنور.(١)

و" النون والواو والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على إضاءةٍ واضطراب وقِلّة ثبات. منه النور والنار، سمِّيا بذلك من طريقة الإضاءة، ولأنَّ ذلك يكون مضطرِباً سريعَ الحركة. وتنوَّرْتُ النّار: تبصَّرتُها. قال امرؤ القيس: (٢)

تنوَّرتُها من أذرعات وأهلُها   بيثربَ أدنى دارِها نظرٌ عالِي

ومنه النَّور: نَور الشَّجر ونُوّارُهُ. وأنارت الشَّجرةُ: أخرجَتْ النَّوْر. والمَنَارة: مَفعلة من الاستنارة، والأصل مَنْوَرة. ومنه مَنَار الأرض: حُدودها وأعلامها، سمِّيت لبَيَانِها وظُهورها.(٣)

ويتجه في هذه الآية أنْ يقال: لماذا أظهر اسم النار في قوله ذوقوا عذاب النار مع أنَّ اسم النار تقدم في قوله فمأواهم النار فكان مقتضى الظاهر الإضمار بأنْ يقال: وقيل لهم ذوقوا عذابها. وهذا السؤال أورده ابن الحاجب في «أماليه»(١) وأجاب بوجهين:

---

(١) عبد المنعم ، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ،مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون – جامعة الأزهر،الناشر: دار الفضيلة ،ج ٣ ، ص٣٨٧ وينظر الجرجاني ، التعريفات ، ص ٢٣٩

(٢) ديوان امرئ القيس ،البيت من الطويل، ص ٣١

(٣) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ،ج ٥ ، ص ٢٩٤

- أحدهما أنَّ سياق الآية التهديد وفي إظهار لفظ النار من التخويف ما ليس في الإضمار.
- الثاني: أنَّ الجملة حكاية لما يقال لهم يومئذ فناسب أنْ يحكى كما قيل لهم وليس فيما يقال لهم تقدم ذكر النار.(٢)

وقال تعالى هاهنا: ﴿ عَذابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ ﴾ وَقَالَ سبحانه فِي السَّجْدَةِ: ﴿ عَذابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ وما هو الفرق يا ترى بين (بها و به) في الآيتين مع العلم أنَّها في الموضعين استعمل النار وذلك؛ لأنَّه جعل المكذَّب هنالك العذاب وجعل المكذَّب هاهنا النار وهم كانوا يكذبون بالكل، والفائدة فيها أنَّ هناك لم يكن أول ما رأوا النار بل كانوا هم فيها من زمان بدليل قوله تعالى : ﴿ كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السَّجْدَةِ: ٢٠] أي العذاب المؤبد الذي أنكرتموه بقولكم في الدنيا : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٨٠] أي قلتم أن العذاب إنْ وقع فلا يدوم فذوقوا الدائم ، وهاهنا قالوا ذلك أول ما رأوا النار لأنّه مذكور عقيب الحشر ، فقيل لهم باسم الاشارة القريب : ﴿ هَذِهِ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ ﴾ .(٣)

فائدة لابد من ذكرها :في سورة السجدة قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠) ﴾ .

---

(١) ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (المتوفى: ٦٤٦هـ) ، أمالي ابن الحاجب ، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة ،الناشر: دار عمار - الأردن، دار الجيل - بيروت،عام النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م،عدد الأجزاء: ٢ ،ج١،ص٩٢

(٢) ابن عاشور ،التحرير والتنوير، ج٢١، ص٣٢٣

(٣) الرازي ، مفاتيح الغيب ،ج٢٥ ، ص٢١٣

وقال في سورة سبأ قال تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

ما هي الحكمة من استعمال (الذي) في سورة السجدة و(التي) في سورة سبأ علماً أنّ الذي جاء بعدهما الكلام نفسه، الذي أوجب في سورة " السجدة أنْ يعود الوصف بـ " الذي " إلى العذاب الذي هو مذكر، ويعود مثله في سورة سبأ إلى النار التي هى مؤنثة، فهل كان اختياراً لو جاء هذا على العكس، فكان ما في سورة السجدة يرجع الوصف فيه إلى النار، وما في الأخرى يرجع الوصف فيه إلى العذاب . (١)

أن النار في قوله تعالى في سورة السجدة، ظاهرة موضع المضمر لتقدم ذكره في قوله: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ فأضمرت في قوله تعالى : ﴿ أعيدوا فيها ﴾ وأظهرت في قوله: ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ ﴾ أي عذابها، فوقعت مظهرة مكان المضمر. والتي في سورة سبأ لم تجئ هذا المجيء، لأنها في مكانها مظهرة.

فلما كان المضمر لا يوصف بعُد عن الوصف ما حلّ محلّه، لأنه سدّ مسدّه، فوصف ما أضيف إليه وهو العذاب، فجاء: ﴿ عذابَ النار الذى كنتم به تكذبون ﴾ ولماّ لم يتقدم ما في سورة سبأ ما منزلته منزلة المضمر صرّح الوصف له فأجري عليه وجاء: ﴿عـذابَ النـار الـتى كنـتم بهـا تكذبون﴾ ألا ترى أن أوّله: ﴿ ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار ... ﴾ الآية. (٢)

---

(١) العاني ، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ) ، بيان المعاني ، ج٤ ، ص٣٧٨

(٢) الاسكافي، درّة التنزيل وغرة التأويل ، ص١٠٦٦

وقال فاضل السامرائي: عن هذه الآية من قوله تعالى :﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الخطاب في السورة موجّه للفاسقين و(الذي) يشير إلى العذاب نفسه ، أما في سورة سبأ ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلَا ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (﴿٤٢﴾)﴾ فالخطاب في هذه السورة موجّه إلى الكافرين و(التي) مقصود بها النار نفسها. فالفاسق يمكن أن يكون مؤمناً ويمكن أن يكون كافراً فهو لا يُكذّب بالنار إنما يُكذّب بالعذاب أما الكافرون فهم يُكذّبون بالنار أصلاً ولا ينكرون العذاب فقط وإنما يُنكرون النار أصلاً. (١)

﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ والقائل لهم خزنة جهنم ، أو الله تعالى ، حال كونهم قد صاروا في النار وفيه من الإغاظة لهم ما لا يخفى وهذا دليل على أنَّ المراد بالفاسق الكافر إذ التكذيب يقابل الإيمان.(٢)

ويظهر مما سبق أمور:

الأول: اظهار لفظ النار فيه من التخويف ما ليس في الإضمار .

الثاني: الجملة حكاية لما يقال لهم يوم القيامة .

الثالث: التعليل بـ ﴿ كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ ، يبين أنَّهم كانوا مكذبين لهذه النار، فكأنَّه تعالى أوقفهم عليها وقال لهم هذه النار التي كنتم تكذبون بها في الدنيا، نظيره قوله تعالى في سورة ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام٣٠ ، والأحقاف ٣٤]، ففي الأنعام أوقفهم على ربهم وختم الآية بالتذييل

---

(١) فاضل السامرائي ، لمسات بيانية ، ص٤٦٧

(٢)القنوجي ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن ،ج ١١، ص٢٩.

نفسه في سورة الأحقاف إلا أنَّ الأحقاف ذكر تعالى في بدايتها عرض الذين كفروا على النار، فعلم أنَّه لا يكذب بعذاب النار إلا كافر. وفيه ردٌّ على كثير من الفرق الذين لا يفرقون بين المصدِّق والمكذِّب.(١)

والفساق – في هذه الآية – هم الكفار، لقوله في آخر الآية: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾؛ لأنَّ المؤمن – وإنْ ساء عمله – لم يكذب بعذاب النار، بخلاف الكافر فعنده الأصل تكذيب النار ، وإنْ اعتقدها فهو لا يلبث فيها إلا أيام معدودة بدعواهم ؛ كما قال تعالى على لسانهم (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ﴾ [البقرة ٨٠] .

فائدة: في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ كان هذا في الدنيا، وهذه آخر الآيات المدنيات، ولا يوجد في القرآن آية بتأبيد الكافرين في النار إلا في موضعين هذه وفي قوله تعالى من سورة الجن ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾[الجن] وهذا في القسم المكي وفي القسم المدني أيضا في موضعين الأول:﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾[النساء] والثاني:﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ ﴾[الاحزاب] . (٢)

---

(١) القصاب ، أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (ت: نحو ٣٦٠هـ) ،النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام تح: الجزء ١: علي بن غازي التويجري الجزء ٢ – ٣: إبراهيم بن منصور الجنيدل الجزء ٤: شايع بن عبده بن شايع الأسمري دار النشر: دار القيم – دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٤هـ، ج ٣، ص٦٣٨

(٢) العاني ، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ) ، بيان المعاني ، ج٤ ،ص٣٧٨

فائدة في زيادة كلمة غم : ﴿ كُلَّمَآ أرادوا أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ الحريق ﴾ [الحج: ٢٢].

وقوله: ﴿ كُلَّمَآ أرادوا أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ النار الذى كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠] .

زيادة كلمة «غمّ» في الآية الأولى: «فلمّا وصفهم بأنّ العذاب من جميع الجوانب اكتنفهم، صاروا بإحاطة ذلك بهم، وسدّ أنفاسهم عليهم بمنزلة البعير المغموم بالغمامة التي تسدّ منفسه، فلا يجد فرجة، والآية التي في سورة السّجدة لم تشتمل من إحاطة العذاب بهم من ذكر الثّياب من النار وصبّ الحميم وإذابة الشّحوم» (١)

ووجه أخر أنَّه ذكر الجزاء مفصلاً في سياق الحج بالنسبة للمؤمنين والكافرين. قال تعالى: ﴿هذان خَصْمَانِ اختصموا فِى رَبِّهِمْ فالذين كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحميم * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِى بُطُونِهِمْ والجلود * وَلَهُمْ مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَآ أرادوا أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ الحريق * إِنَّ الله يُدْخِلُ الذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأنهار يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وهدوا إِلَى الطيب مِنَ القول وهدوا إلى صِرَاطِ الحميد ﴾ [الحج: ١٩-٢٤].

أما في سورة السجدة فقد ذكر الجزاء موجزاً بالنسبة إلى الطرفين: قال تعالى: ﴿ أَمَّا الذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات فَلَهُمْ جَنَّاتُ المأوى نُزُلاً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الذين فَسَقُواْ فَمَأْوَاهُمُ النار كُلَّمَآ

(١) الاسكافي، درّة التنزيل، ص، ٣٠٩، وينظر، احمد ياسوف ،جماليات المفردة القرآنية ، ج ١ ، ص ٢٨٦

أرادوا أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ النار الذى كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة: ١٩-٢٠]. فناسب قوله: (من غمٍّ) ذكر التفصيل الوارد في سورة الحج دون السجدة . (١)

المطلب السابع

((الذوق مع الحميم والغساق))

- قال تعالى ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾[ص]
- ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ ﴾ [النبأ]

ورد لفظ الحميم والغساق مقترناً بلفظ (الذوق) في القرآن الكريم في موضعين ، جاء في الموضع الأول على جهة التنبيه والإهانة ﴿فَلْيَذُوقُوهُ ﴾، أما في الآية الأخرى فجاء لفظ الذوق منفياً عن ذوقهم الشراب والبرد وجاء الاستثناء للذوق بأنَّه استبدل مكان الشراب والبرد بالحميم والغساق ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾.(٢)

والحميم: هو الماء الشديد الحرارة، قال تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا ﴾ (٣)

والغساق: دلالة على ما يسيل من صديد أهل النار، منقولًا إليها من الغساق الذي يسيل من صديد الجرح المنتن.(١) وقيل: الغساق ما يقطر من جلود أهل النار (٢)

---

(١) فاضل السامرائي ، المؤلف: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي ،أسرار البيان في التعبير القرآني، الاصدار الأول ، باب الحشد الفني غير مرقم

(٢) صافي ، محمود عبدالرحيم صافي ،الجدول ، ج٣٠ ،ص٢١٩

(٣) الراغب ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٢٥٤ .

والغساق تشدّد سينُه وتُخفف وذكروا أنَّ الغساق بارد يُحرق كإحراق الحميم ، ويُقال: إنّه ما يَغْسِق ويسيل من صديدهم وجلودهم.[٣] والذي يظهر: أنَّ الغساق يكفي به أنْ يكون أحد أنواع العذاب سواء مما يسيل من صديد أهل النار، أو كونه بارداً يحرق فهو من العذاب .

" قرء حمزة والكسائي وحفص ﴿وَغَسَّاقُ﴾ بالتشديد وكذلك في ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أَي سيَّال وَهُوَ فعال من غسق يغسق أَي مَا يسيل من جُلُود أهل النَّار وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (وغساق) بِالتَّخْفِيفِ وحجتهم أَنه اسْم مَوْضُوع على هَذَا الْوَزْن مثل عَذَاب وشراب ونكال وفي التفسير أنه الشديد البرد "[٤]

ورفعت الحميم والغسّاق بِهذا مقدّمًا ومؤخرًا. والمعنى هَذَا حميم وغسَّاق فليذوقوه، وإن شئت جعلته مستأنفًا، وجعلت الكلام قبله مكتفيًا كأنك قلت: هذا فليذوقوه، ثُمَّ قلت: منه حميم وغساق .ومن رفع رفع بالهاء التي فِي قوله: ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ كما تَقُولُ فِي الكلام: اللَّيْلَ فبادرُوه واللَّيْلُ.[٥]

---

(١) بنت الشاطئ ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، ص ٥٧٧

(٢) الراغب ،المفردات في غريب القرآن ، ص ٣٦٠

(٣) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر ط١ ،ج ٢ ،ص٤١٠

(٤) ابن زنجلة ، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت: حوالي ٤٠٣هـ)، حجة القراءات ،محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني عدد الأجزاء: ١ الناشر: دار الرسالة ، ص ٦١٥

(٥) الفراء، معاني القرآن ، ج ٢ ، ص٤١٠

وبالرجوع للآيات ، ﴿هذا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾،هذا حميم بالغ الحرارة وصديدٌ من نار جهنم، فليذوقوه. ولهم عذاب آخر في أشكال متعددة وأنواع متشابهة في شدتها وقسوتها.فذوقوا ما أنتم فيه من العذابِ الأليم، فلنْ يكون لكم منا إلا عذابٌ أشدّ وأقوى. (١)

أي تقول لهم ملائكة النار هذا القول : ذوقوا ما فيها من الحميم وهو الماء الحار، الذي بلغت شدة حرارته منتهاها، فإذا عطشوا شربوا هذا الحميم، وإذا أرادوا أنْ يتنظفوا غرقوا في هذا الحميم. (٢)

وفي تسمية الليل غاسقاً قول آخر: إنّه من البرد، والليل أبرد من النهار، والغسق: البرد. وعليه حمل ابن عباس قوله تعالى: ﴿هذا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾، [سورة ص: ٥٧]. وقوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [سورة النبأ: ٢٤-٢٥]. قال: هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها. وكذلك قال مجاهد ومقاتل: هو الذي انتهى برده .(٣)

﴿ هذا فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ أي ليذوقُوا هذا فليذوقُوه كقوله تعالى وإياى فارهبون أو العذابُ هذا فليذوقوه أو هذا مبتدأٌ خبرُه ﴿ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ والغساق ما يغسِق من صديد أهلِ النَّارِ من غسقت العين إذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحرِّه والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق

---

(١) إبراهيم القطان (المتوفى: ١٤٠٤هـ) تيسير التفسير،ج٣،ص١٦٥

(٢) الحسني ، محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني (المتوفى: ١٤١٩هـ) ،تفسير القرآن الكريم ، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ، http://www.islamweb.net ،[الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – ٣٥٧ درسا]،ج٢٥٣،ص١٠

(٣) الدوسري ، محمد بن عبد الله الوزره الدوسري، رسالة دكتوراه بعنوان (اختيارات ابن القيم وترجيحاته في التفسير من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن الكريم دراسة وموازنة) ، المملكة العربية السعودية ، وزارة التعليم ، كلية اصول الدين ،جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية،ج ١ ، ص٦٥

لنتنت أهل المغرب ولو قطرت قطرةٌ في المغرب لنتنت أهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه إلا الله تعالى [١]

وقيل: "إن الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثوابا في قوله فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة" [٢]

والله تعالى خالق النفوس ويعلم ما يصلحها ويقومها ،، فهي محتاجة إلى مزيد من التخويف وشديد تهويل، كما قال تعالى متوعداً من ترك التأسي بهؤلاء السادة في أحوال العبادة، مؤكداً لما مضى من إيعاد العصاة وتخويف العتاة: ﴿ هَـٰذَاۚ﴾ أي الأمر العظيم الذي هو جدير بأن يجعل نصب العين وهو أنه لكل من الفريقين ما ذكر وإن أنكره الكفرة، ﴿ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِـينَ ﴾ أي الذين لم يصبروا على تنزيلهم أنفسهم في منازلها بالصبر على ما أمروا به فرفعوا أنفسهم فوق قدرها، وتجاوزوا الحد وعلوا في الكفر به وأسرفوا. [٣]

---

(١) بتصرف ، ابو السعود، ارشاد العقل السليم، ج٧ ، ص ٢٣٢

(٢) الزمخشري ، الكشاف ،ج ٤ ، ص ١٠١

(٣) بتصرف ، البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الايات والسور ،ج١٦ ، ص٤٠٤

المطلب الثامن

الذوق مع العذاب الشديد

قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [يونس]

قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[فصلت]

ورد لفظ العذاب الشديد مقترناً بلفظ الإذاقة مرتين في القرآن الكريم، فقد جاء في سورة يونس منكراً أما في سورة فصلت فمعرفاً ، وسبحان الله تعالى ،وبإمعان النظر والتأمل في سياق الآيات وما قبلها نجد أنَّ السبب الرئيس لذوقهم العذاب هو التقوُّل على الله بغير الحق ، والافتراء على كتابه المكنون الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،كما في أكثر آيات الذوق وكل هذه من الكبائر التي ما بعدها جرم ، فاستحقوا هذا العذاب بكبير ما قالوا وفعلوا .

والشدُ: هو العقد القويّ. يقال: شددتُ الشيء: قويتُ عقده ... وشد فلان واشتد: إذا أسرع [١] أما العذاب الشديد فهو خاص بالكافرين [٢].

(١) الراغب ، مفردات غريب القرآن ، ص ٤٤٧

(٢) المرصفي ،عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي (المتوفى : ١٤٠٩هـ) ،هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ، مكتبة طيبة، المدينة المنورة ،الطبعة : الثانية، عدد الأجزاء : ٢ (في ترقيم مسلسل واحد) ١:، ص ٣٨٤

العذاب الشديد هو الدائم [1] ويدل على أنه دائم مجيؤه مقابلاً لـ (متاع) المنكرة دلالة على القلة والانقطاع والشد : الإحكام والمنع . و " شدَّ اللهُ على قلبه: ختَم " قال تعالى: ﴿ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ : اربط عليها وأحكم إغلاقها حتى لا يدخلها الإيمان" .[2]

ثم بيَّن وجه عدم فلاحهم بأنه متاع في الدنيا أي لهم متاع قليل في الدنيا يتمتعون به طول حياتهم. ثم إلينا مرجعهم بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد أي المؤلم الموجع بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم وافترائهم وكذبهم على الله، فيما ادَّعوه من الإفك والزور .[3]

وذلك بافترائهم على الله الكذب بإضافة الولد إليه متاع في الدنيا أى افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا، وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به، ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده.[4]

وبيَّن الله تعالى عاقبتهم بأنَّهم لا يُفْلِحُونَ وفيه وجه ، الأول : لا يبقون في الدنيا. والثاني: لا يسعدون في العاقبة. والثالث: لا يفوزون. قال الزجاج: وهذا وقف تام، وقوله: مَتاعٌ فِي الدُّنْيا مرفوع على معنى: ذلك متاع في الدّنيا أي أنَّ هذا المتاع باقٍ في الدنيا و لا يصحبهم للآخرة ولا ينتفعون منه .[5]

---

(١) العاني ، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني ، بيان المعاني ،ج ٢، ص٧٩

(٢) عمر، أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) ، معجم اللغة العربية المعاصرة المؤلف: بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ،ج ٢، ص١١٧٦

(٣) سعيد حوى ،الاساس في التفسير ج٥، ص٢٤٨٣

(٤) الزمخشري ، الكشاف ، ج٢، ص٣٥٨

(٥) ابن الجوزي ، زاد المسير ،ج٢، ص٣٤٠

ظهرت بعد هذا العرض مناسبة ورود العذاب الشديد مع الذوق فتحصَّلنا على أنَّه العذاب الدائم المخلد المحكم العظيم الذي يشتدُّ عليهم فيتذوقون شدته على الدوام ولا ينقطع عنهم ولا يفتر وفيه من الغلظة .

وكل ما يصيبهم من العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا من نعمة الله عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله سبحانه وتعالى . (١)

المطلب التاسع

((الذوق مع العذاب الأليم))

- قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج]
- قال تعالى﴿ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الصافات]

ورد لفظ العذاب الأليم مقترناً مع لفظ الذوق في موضعين من القرآن الكريم وجاء في سورة الحج هذا العذاب على وجه التنكير ، والآية لها علاقة بالآداب التي تخصّ المسجد الحرام ، ويتبين من ظاهر الآية الكريمة أنَّ السبب الرئيس لإذاقتهم هذا النوع من العذاب ؛ الكفر الذي لا

(١) الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل ،ج٢،ص٤٥٤

يقبله الله تعالى البتة ، وصاحَبَ كفرهم جُرم آخر وهو صدُّ الناس عن دين الله ، يعني منعهم من الدخول في الإسلام أما في سورة الصافات فقد جاء معرَّفاً ،والذي يظهر أنَّ سبب إذاقتهم العذاب الأليم في هذه الآية هو الاستكبار عن توحيد الله تعالى في العبادة ، وتفضيل ما وجدوا عليه الآباء والأجداد من عكوفهم على الآلهة ، والاعتزاز بها، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ ﴾ [الصافات]

ونجد في الآيتين اقتران لفظ الذوق مع العذاب الأليم إذ الألم: الوجع، والجمع آلام. وقد أَلِم الرجلُ يألم ألماً، فهو أَلِمٌ. ويجمع الألم آلاما، وتألم وآلمته.والأليم: المؤلم الموجع مثل السميع بمعنى المسمع؛ وأنشد ابن بري لذي الرمة:

"يصك خدودها وهج أليم"

والعذاب الأليم: الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ، وإذا قلت: عذاب أليم فهو بمعنى مؤلم، قال: ومثله رجل وجع. وضرب وجع أي موجع. وتألم فلان من فلان إذا تشكى وتوجع منه. والتألم: التوجع. والإيلام: الإيجاع". (١)

وتوعد الله تعالى الذين كفروا بالعذاب الأليم ؛ لأنَّهم جمعوا مع كفرهم صفة الصد عن سبيل الله ، قيل: منع أهل مكة من الدخول في الإسلام ، وصدّ الناس عن المسجد الحرام ،حين صدّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام عام الحديبية، وذلك أنَّه لم يعلم لهم صدّ قبل ذلك الجمع، إلا أنْ يريد صدّهم لأفراد من الناس، فقد وقع ذلك في صدر المبعث. والصد: المنع، أي وهم يصدون.(٢)

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٢، ص٢٢

(٢)القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، ج١٢ ، ص٣١

ومجيء يصدون بلفظ المضارع ليدل على الاستمرار على الفعل[١] ومعنى قوله تعالى : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وقد توعد الله تعالى بالعذاب الأليم لمن ألحد فيه ، والإلحاد؛ هو الميل عن الحق إلى الباطل وإنما سمي اللحد في القبر ؛ لأنَّه مائل إلى شق القبر.[٢]

ومكة : لا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها ، ولا ينفر صيدها. واللاجئ إليها آمن. [٣] ولم يقل سبحانه وتعالى ومن يفعل ذلك ،وإنَّما ذكر العقوبة على الإرادة فقط، وذلك لعظيم حرمة الحرم وجلالة قدره، وكذلك يضاعف فيه الحسنات أكثر مما يضاعف في غيره. [٤]

والمناسبة واضحة بين الذوق والعذاب الأليم فهم يتذوقون ألم هذا العذاب المتناهي في الوجع والإيلام الذي يصل إلى كل جزء من جسم المعذبين كما كانوا يتذوقون لذة شهواتهم في الحياة الدنيا وكل يصل اليهم هو بسبب كفرهم وصد الناس عن دين الله وعن المسجد الحرام وإلحادهم فيه واستكبارهم عن عبادة الله وحده لاشريك له .

---

(١) ابن جزي ،التسهيل لعلوم التنزيل ،ج٢ ، ص٣٧

(٢) الجصاص ،أحكام القرآن ،ج٣، ص٣٠١

(٣) الزمخشري ، الكشاف ، ج٣ ، ص٣٨٩

(٤) القيسي، ابو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ج٧، ص٤٨٦٩

المبحث الثاني

((الذوق في عذاب غير المشركين))

المطلب الأول

الذوق في عذاب أهل الكتاب

قال تعالى ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ [ال عمران]

أخرج ابن أبي حاتم من طريق الدشتكي عن أشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أتت اليهود محمدا –صلى الله علية وسلم– حين أنزل الله: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ....﴾ ، فقالوا: يا محمد افتقر ربك يسأل عباده القرض فأنزل الله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ.... الاية ﴾ (١)

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، العجاب في بيان الأسباب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)،المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس، الناشر: دار ابن الجوزي ،عدد الأجزاء: ٢، ج٢ ، ص٨٠٤

ومناسبة الآية لما قبلها: لما ذكرت الآيات السابقة معركة أحد، وما فيها من الأحداث الغريبة ، وتناولت تلك الآيات ضمن ما تناولت مكائد المنافقين، ودسائسهم، وما حملت عليه نفوسهم من الكيد للإسلام، والغدر بالمسلمين، وتثبيط عزائمهم عن الدفاع عن الدين. [١]

بعد ذلك جاءت هذه الاية لإثبات بعض صفات الله تعالى ، وهي صفة السمع لله تعالى كما يليق بجلاله ، ثم بيان مرض خطير وداء كبير عند أهل الكتاب مما عُرفوا به كعادتهم من التشكيك والطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلمً أو بشيء مما جاء به ، ولكن هذه المرة أكبر مما يُتصور وهو الخوض في الذات الآلهية و؛التقول على الله تعالى بما لا يليق بجلاله وهو نسبة الفقر إليه وهذا بحدِّ ذاته يستحق من العذاب ما لا يعلم وصفه الا الله تعالى ، والثاني: نسبة الغنى إلى أنفسهم ، فلا يخلو إما أنْ يقولوه عن اعتقاد لذلك، أو عن استهزاء بالقرآن، وأيّهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر إلا عن متمردين في كفرهم، ومعنى سماع الله له: أنه لم يَخْفَ عليه، وأنَّه أعدَّ له كفاءه من العقاب سيكتب ما قالوا في صحائف الحفظة. [٢]

فبين الله تعالى كتابة الملائكة لما يقولون ، وإضافة إلى كل هذه الافعال ارتكابهم أعظم الجرائم وهي قتل الأنبياء بغير الحق ، فتوعدهم الله بإذاقتهم عذاب الحريق ، جزاءً لما يقولون غير الحق على الله سبحانه وتعالى .

والحريق بمعنى المحرق وإضافة العذاب إليه من الإضافة البيانية أي العذاب الذي هو المحرق لأن المعذِّب هو الله تعالى لا الحريق، أو الإفاضة للسبب لتنزيله منزلة الفاعل، والذوق: كما مر معنا ؛ وجود الطعم في الفم وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر فإنَّه يقال له: أكل، ثم

---

(١) بتصرف ، الهرري ، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج٥ ، ص٣٠١
(٢) الزمخشري ، الكشاف ،ج١ ،ص٤٤٦

اتسع فيه فاستعمل لإدراك سائر المحسوسات والحالات، أما دلالته في الآية على العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الإنسان إليه لتحصيل المطاعم ومعظم بُخْله للخوف من فقدانه، ولذلك كثر ذكر الأكل مع المال، ولك أنْ تقول: إنَّ اليهود لما قالوا ما قالوا وقتلوا مَنْ قتلوا فقد أذاقوا المسلمين وأتباع الأنبياء غصصاً وشبوًّا في أفئدتهم نار الغيرة والأسف وأحرقوا قلوبهم بلهب الإيذاء والكرب فعوضوا هذا العذاب الشديد .[1]

وقيل: لهم ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ كما أذقتم أولياء الله تعالى في الدنيا ما يكرهون. إنَّه تعالى ينتقم من هذا القائل بأنْ يقول له ذق عذاب الحريق، كما أذقت المسلمين الغصص، والحريق هو المحرق كالأليم بمعنى المؤلم.[2]

وفي هذه الآية مبالغات في الوعيد إذ ذكر فيها العذاب والحريق والذوق المنبئ عن اليأس، وذق كلمة تقال لمن أيس عن العفو أي ذق ما أنت فيه فلست بمتخلص منه والمؤذن بأنَّ ما هم فيه من العذاب والهوان يعقبه ما هو أشد منه وأمَر، والقول للتشفي المنبئ عن فيض من الغيظ والغضب وفيما قبلها ما لا يخفى أيضا من المبالغات، وقوله تعالى ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ ، ويقول بصيغة الغيبة ذلِكَ إشارة إلى العذاب المحقق المنزل منزلة المحسوس المشاهد، وللإشارة إلى عظم شأنه وبعد منزلته في الهول والفظاعة.[3]

---

(١) الالوسي ، روح المعاني ،ج٢ ، ص٣٥٣

(٢) الرازي ، مفاتيح الغيب ،ج٩ ، ص٤٤٧

(٣)الالوسي ، روح المعاني ،ج٢ ، ص٣٥٣

وقوله تعالى : ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ ، أي بسبب أعمالكم التي قدمتموها كقتل الأنبياء ،والمراد من الأيدي الأنفس والتعبير بها عنها من قبيل التعبير عن الكل بالجزء ،[1] أي أنَّ الله تعالى أذاقهم فوق العذاب الذي أعدَّه لهم عذاب آخر وهو الحرق إضافة إلى العذاب ليكون عذاباً أليماً محرقاً فناسب مقامهم وفعلهم مقام العذاب الذي أُعِدَّ لهم.

المطلب الثاني

((الذوق في عذاب عُصاة الجن))

قال تعالى ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾[سبأ]

بعد استقراء آيات عذاب السعير في القران الكريم وجدت أن لفظ عذاب السعير ورد أربع مرات في القرآن الكريم مرة مع الهداية إلى عذاب السعير ، ومرة مع الدعوة إلى عذاب السعير ومرة مع التهيئة والإعداد إلى عذاب السعير والأخيرة مع إذاقة عذاب السعير ، وما نحن بصدده الآية الأخيرة .

(سعر) السين والعين والراء أصل واحدٌ يدل على اشتعال الشيء واتّقاده وارتفاعه. من ذلك السعير سعير النار. واستعارها: توقُّدها. والمِسْعر: سعر الخشب الذي يُسْعر به. والسُّعار: حَرّ النار. ويقال سُعِر الرَّجُل، إذا ضربته السَّموم. وسَعَرتُ النّارَ وأسْعَرْتُها، فهي مُسْعَرَة ومسعُورة.

---

(١) صافي، محمود بن عبد الرحيم صافي ،الجدول ج٤، ص٣٩٤

ويقال واستعر الجَرَب في البعير .. ومن هذا الباب: السُّعْر، وهو الجنون، وسمِّي بذلك لأنّه يَسْتَعِر في الإنسان. ويقولون نَاقة مسعورة. وذلك لِحِدّتها كأنّها مجنونة. فأمَّا مساعِر البعير سُمِّيت بذلك لأنّ الجرب يستَعِر فيها أولاً ويستعر فيها أشدّ.[١] والسِّعْرُ في السّوق، تشبيها بِاسْتِعَارِ النار."[٢]

وعذاب السعير أي حميم، فهو فعيل في معنى مفعول [٣] و قال الزمخشري: "(سعيرًا): نارًا من النيران مبهمة الوصف".[٤] وقال ابو حيان "الحجر المتقد"[٥]

ولا يخفى أن قوله: مسعرة: اسم مفعول سعرت بالتضعيف، وبما ذكرنا يظهر أن أصل السعير: فعيل بمعنى اسم المفعول: أي النار المسعرة: أي الموقدة إيقاداً شديداً لأنها بشدة الإيقاد يزداد حرها عياذاً بالله منها، ومن كل ما قرب إليها [٦] و" السِّعْرُ: التهاب النار، وسَعُرَ الرّجل: أصابه حرّ . [٧]

تنقل لنا الآية بعض المعجزات التي سخَّرها الله سبحانه وتعالى لنبيِّه سليمان عليه السلام وهي تسيير الرياح، وآتينا سليمان الريح أي سخّرناها له، فكانت تحمل بساطه بالغدو مسيرة شهر وبالرواح مسيرة شهر.[٨] فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين، وكان يغدو من دمشق فيقيل

---

(١) ابن فارس ،مقاييس اللغة، ج٣ ، ص٥٧
(٢) الراغب ، المفردات في غريب القرآن ج١ ،ص٤١١
(٣) الراغب ، مفردات في غريب القرآن ،ج١،ص٤١١
(٤) الزمخشري ، الكشاف ،ج١ ،ص٤٢٩
(٥) عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، ١١ ج ٦ ص ٤٧٤
(٦) المنياوي ، الأساليب والإطلاقات العربية ، ص ٦٩
(٧) الفيروزآبادي ، بصائر ذوي التمييز الكتاب: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ، ص ٨٩٣
(٨) القشيري ، لطائف الاشارات ، ج٣، ص١٧٨

باصطخر وبينهما مسيرة شهر، ثم يروح من إصطخر [1] [2] فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل: إنَّه كان يتغذى بالري ويتعشى بسمرقند . [3] ولسليمان اللام :على صفة التمليك كما يقال: لزيد الدار، وذلك ؛ لأن الريح كانت له كالمملوك المختص به يأمرها بما يريد حيث يريد ، وقيل: إنَّ الريح المسخرة له غير هذه الريح ، إنَّما ريح خاصة به ،وكلُّ ما آتاه الله له هي بإذن الله، أي وآتيناه ذلك فكانت الشياطين مسخّرة له، يعملون ما يشاء من الأشياء التي ذكرها سبحانه وتعالى بأمرته .[4]

وقوله تعالى : ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي النحاس، أسيلت له ثلاثة أيام وهو الصفْر، وقيل: عين الرصاص.[5]

والمحاريب التي هي الأبنية الرفيعة والقصور، والتماثيل جمع تمثال، وهو كل شيء مثلته بشيء، يعني صوراً من نحاس وزجاج ورخام، والجفان جمع جفنة، وهي القصعة الكبيرة، كالجوابي جمع الجبية وهي الحوض الكبير، يجبي الماء، أي يجمعه، يعني قصاعا في العظم كحياض الإبل يجتمع على القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون منها، والقدور الراسيات أي ثابتات

---

(١) إِصْطَخْر :بالكسر، وسكون الخاء المعجمة، والنسبة إليها إصطخريّ وإصطخرزيّ بزيادة الزاي: بلدة بفارس من الإقليم الثالث، طولها تسع وسبعون درجة وعرضها اثنتان وثلاثون درجة، وهي من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها، ويقال أن فيها مسجد سليمان عليه السلام .

(٢) الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان الناشر: دار صادر، بيروت ،الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م،عدد الأجزاء: ٧،ج١ ،ص٢١١

(٣)الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل ،ج٢٢،ص٦٦

(٤) القشيري ، لطائف الاشارات ، ج٣ ، ص١٧٩

(٥) الكرماني ،غرائب التفسير وعجائب التأويل ،ج٢،ص٩٢٨

لها قوائم لا يخرجن عن أماكنها وكانت بأرض تتخذ من الجبال.[1] فكل هذه الصناعات العظيمة تدل على أن المسخر لسليمان هو الجن وهذا مما لا يقوى عليه بني البشر.

فسخر الله تعالى لسليمان طائفة من الجن يعملون بأمره بإذن ربه، والجن: كل مستور لا يراه البشر. وهناك خلق سماهم الله الجن ولا نعرف نحن من أمرهم شيئا إلا ما ذكره الله عنهم، وهو يذكر هنا أن الله سخر طائفة منهم لنبيه سليمان- عليه السلام- فمن عصى منهم ناله عذاب الله).[2]

ونقلاً عن الواحدي قال ابن عباس رضي الله عنهما: "سخر الله الجن لسليمان، وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به" [3]

وهذا العذاب لمن زاغ عن أمر سليمان كان في الدنيا، وذلك أنَّ الله تعالى وكَّلَ ملكًا بيده سوط من نار، فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته.[4]

وتظهر مناسبة الذوق مع السعير أنهم يذوقون العذاب في هذه النار الموقدة إيقاداً شديداً فيشتد إيقادها ويزداد حرُّها ويقوى سعيرها ويرتفع لهيبها وهم في هذه الحال يذوقون عذابها.[5]

والذي يظهر من أقوال المفسرين أنَّ عذاب السعير في هذه الآية خاص بالجن دون الأنس؛ لأن هذه المسخرات والعمل الذي يقوم به هؤلاء النفر خارج عن طاقة الإنسان.[6] وقال بعد ان ذكر

---

(١) الواحدي ، التفسير الوسيط ، ج٣، ص٤٨٩

(٢) سعيد حوى، الاساس في التفسير ،ج٨ ، ص٤٥١٧

(٣) الواحدي ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ،ج٣، ص٤٨٩

(٤) البغوي ، معالم التنزيل ، ج٣،ص٦٧٣

(٥) بتصرف ،الرازي ، مفاتيح الغيب ،ج٢٥، ص١٩٧

(٦) بتصرف ، الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل ،ج٣،ص٤٤٣

هذه الاعمال ﴿وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ فالمخاطبون هم الجن ويكون هذا دليل ان هذا العذاب هو خاص بالجن دون الانس والله أعلم .

ومن خلال ما مَر بنا من آيات لهذا الفصل تبيَّن لنا أنَّ ذوق العذاب الأخروي جاء على أنواع من حيث التعريف والتنكير والإضافة وعدمها والوصف ودونه، فجاء مُعرّفاً من دون أي إضافة ومن غير وصفٍ ليشمل إذاقتهم العذاب عموماً ، ومن ثم مُفصلاً ، وموصوفاً ومضافاً إلى نوع هذا العذاب ، فجاء لفظ ذوق العذاب يُفصح عن نوعه وعن شدته وطريقة الإذاقة والأسلوب الذي أنفرد به ، وسبب ذلك التنويع والتفصيل راجع إلى نوع الجرم والذنب الذي كانوا يعملونه من الكفر والتكذيب بالله وبالأنبياء وباليوم الآخر والقتل والصدِّ عن سبيل الله ، وهذه الأعمال لا تصدر إلا عن مكذِّب بهذا الدين ورافض له ، وفي هذا دلالة على أنَّ المخاطبين هم كفار وليسوا مسلمين، لذلك نجد أنَّ سياقها امتاز بقوة الألفاظ وشدتها، وإيجاز العبارة، بما يصخّ الآذان، ويشتدّ قرعه على المسامع، وينبّه القلوب ويحرّك الأفئدة مُحملاً بالوعيد والتهديد ، والتهكم والسخرية في إذاقتهم للعذاب بشكل بارز وظاهر .

ونجد أيضاً من خلال باقي الآيات من القسم الثاني من الذين استحقوا ذوق العذاب الأخروي وهم غير الكافرين من أهل الكتاب – كما سمّاهم الله تعالى– وما كانوا عليه من العناد والمكابرة وخُبث السريرة وسوء الطويّة وعدم إذعانهم للحق ، لما علم الله منهم ذلك خاطبهم الله باسم اليهود ؛ لأنَّ هذا ممّا يغيظهم. وقد شابهوا الكافرين في الأفعال والأقوال إذ تَقَوَّلوا على الله غير الحق وتكلموا في الذات الآلهية ونسبوا الفقر إلى الله والغنى لأنفسهم، وقتلوا الأنبياء ظلماً، فتوعدهم الله بإذاقتهم عذاباً فوق عذابهم من عذاب التحريق ، الذي هيأه الله لهم يوم القيامة ، ناهيك عما أصابهم في الدنيا .

والقسم الثالث الذي مرَّ معنا من هؤلاء الذين استحقوا ذوق عذاب السعير، وهم جنود من عصاة الجنِّ الذين سخَّرهم الله تعالى لنبيٍّ من أنبيائه وهو سُليمان عليه السلام ، فكان عليه السلام يستعملهم لما يشاءُ في طاعة الله تعالى، ويصنعون له ممّا لا يتمكن بنو البشر من فعله، فتوعد اللهُ من يزغ منهم عن أمره بإذاقته عذاب السعير وهو زيادة فوق عذاب النار.

الفصل الخامس

الجوانب المتعلقة بآيات الذوق في القرآن الكريمِ

تمهيد :

ورد لفظ (الذوق) في مواضع أخرى غير التي وردت آنفا، فأفردتها في هذا الفصل تحت الجوانب التي تتعلق بالذوق من موطن آخر وجانب غيره ، وجعلتها على عدة مطالب والسبب الذي جعلني أنحى هذا التقسيم هو أنَّ هذه الألفاظ في هذا الفصل رأيت فيها اختلافاً من حيث تعاملها مع الألفاظ الني تتعلق بها ، فمثلاً نرى الآية الأولى تتعلق بقصة من قصص الأنبياء وهو أبونا آدم عليه السلام أبو البشر جميعاً ، الذي نزلت منه سلالة البشر ، ولا سيما أنَّ هذه القصة وقعت في الجنة ، وهي أولى محاولات إبليس لإغواء آدم عليه السلام ،ومنها ما يخصُّ شخص النبي صلى الله عليه وسلم ، وكيف كان خِطاب الله تعالى له وهذا الخطاب من الأهمية بمكان ، وبخاصة بعد ما حاول المشركون استمالته صلى الله عليه وسلم وكيف حفظه الله تعالى منهم . وجعلته على مطالب :

المطلب الاول: الذوق في القصص القرآني (فلما ذاقا الشجرة)

المطلب الثاني : الذوق في التشريع والأحكام والأخلاق

المطلب الثالث : الذوق في استشعار الموت

المطلب الرابع : الذوق في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الخامس : الذوق مع الكنز في الدنيا والعذاب في الآخرة

المطلب السادس : الذوق في العمل والكسب

المطلب السابع : الذوق مع الفتنة

المطلب الثامن : الذوق مع الكبرياء

المطلب الاول

الذوق مع القصص القرآني (فلما ذاقا الشجرة)

حيث ورد لفظ (الذوق) في القرآن الكريم من خلال سياق قصة من قصص أنبياء الله وهو (آدم) عليه السلام وذلك في آية واحدة من كتاب الله وذلك في

قوله تعالى: ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢ ﴾ [الأعراف ٢٢]

لاشك من أنَّ الشيطان هو السبب الرئيس لغواية آدم وحواء عليهما السلام، وجاء القرآن الكريم ليبين لنا ويصور أحداث هذه القصة تصويراً بديعاً. إذ سبق آية الذوق إحداث الوسوسة لهما وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ ومما هو معلوم أنَّ الشيطان ليس له سلطان على الإنسان سوى تزيين العمل له بطرق أولها؛ خادعهما بأنْ بيَّن سبب النهي لهما عن (ذوق) الشجرة هو﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ﴾ و﴿ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ﴾ وأقسم لهما (وَقَاسَمَهُمَآ﴾ وكل هذه الأفعال صدرت من الشيطان الرجيم، فجاءت الاستجابة لتلك الغواية وذلك الغرور، كما نقلها القرآن ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ ﴾، أي: خدعهما، يقال: ما زال فلان يدلي لفلان

بغرور، يعني: ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف باطل من القول ، والتدلي يكون من الأعلى إلى الأسفل، والتدلية: إرسال الدلو في البئر وأصله تدلية العطشان البئرَ ليروي من الماء ولا يجد الماء، فيكون مدلىً بغرور، والغرور: إظهار النصح مع إبطان الغش (١) "وهو يغير الناس بتزيين القبائح لهم تمويهاً بما يلوح عليها من محاسن تلائم نفوس الناس"(٢)

و﴿ فــدلاّهما ﴾ يتبيَّن أنَّهما فَعلا فِعلاً يريدان ويطمعان بهذا الفعل النفع فخابا فيه، واعتقدا الانتفاع منه ولكن دون جدوى، والباء للملابسة أي دلاهما ملابِساً للغُرور أي لاستيلاء الغرور عليه إذ الغرور هو اعتقاد الشيء نافعاً بحسب ظاهر حاله ولا نفع فيه عند تجربته ، وعلى هذا القياس يقال دَلاّه بغرور إذا أوقعه في الطّمع فيما لا نفع فيه (٣)

وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ ﴾ يدلُّ على أنَّهما تناولا القليل للتعرف على الطعم، كما وضَّح ذلك الرازي، "ويقول ولولا أنَّ الله تعالى أخبر في آية أخرى أنَّهما أكلا منها لكان ما في الآية ما لايدل على الأكل؛ لأنَّ الذائق قد يكون ذائقاً من دون أكل"(٤)

و(لا تقرب) :حركة (الراء) بالفتح أي لا تتلبس بالفعل، و بالضم أي لا تتقرب من الفعل، أشار لذلك صاحب التحرير والتنوير. (٥)

---

(١) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي تح: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٨، ج٣، ص٢٢٠

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢،ص٢٥٩

(٣) بتصرف ،أبن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨ ، ص٦٠

(٤) الرازي ، مفاتيح الغيب، ج١٤ ، ص٢١٧

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٤٣٢

و﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ ﴾ ترتيب على دَلاَهما بغرور فحذفت الجملة واستُغني عنها بإيراد الاسم الظّاهر في جملة شرط لَمَّا ، والتّقدير: فأكلا منها ، كما ورد مصرّحاً به في سورة البقرة ، فلمّا ذاقاها بدت لهما سوآتهما، وقد أفادت (لما) تَوْقيت بُدُوّ سوآتهما بوقت ذوقهما الشجرة ؛ لأنَّ (لما) حرف يدل على وجود شيء عند وجود غيره، ولكن لما كان بين السبب والمسبب تقارن كثر في شرط (لما) وجوابها معنى السببية دون اطّراد، فقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾ لا يدل على أكثر من حصول ظهور السوآت عند ذوق الشجرة، أي أنَّ الله جعل الأمرين مقترنين في الوقت، ولكن هذا التقارن هو لكون الأمرين مسببين عن سبب واحد، وهو خاطر السوء الذي نفثه الشيطان فيهما، فسبب الإقدام على المخالفة للتعاليم الصالحة، والشعور بالنقيصة إذ كان آدم وزوجه في طور سذاجة العلم، وسلامة الفطرة، شبيهين بالملائكة. (١)

وثمة إشارة إلى معنى آخر أشار إليه ابن عطية الأندلسي قال " ويشبه عندي أنْ يكون هذا استعارة من الرجل يدلي آخر من هُوّة بحبل قد أرِمَ أو بسبب ضعيف يغتر به فإذا تدلّى به وتورك عليه انقطع به فهلك فيشبه الذي يغرّ بالكلام حتى يصدقه فيقع في مصيبة بالذي يدلي في هوة بسبب ضعيف وعلق حكم العقوبة بالذوق إذ هو أول الأكل وبه يرتكب النهي "(٢)

ومما ينبغي ذكره والإشارة إليه أنَّ أهمَّ ما ينبغي أن نلاحظه في قصة آدم عليه السلام أنَّ المذنب لا يمرُّ بدون نوع عقوبة، ولو رافقته توبة.(٣)

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ج٨، ص٦٠

(٢) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م، ط١، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، عدد الأجزاء: ٥، ج٢،ص٣٨٥

(٣) بتصرف ، سعيد حوّى ،الاساس في التفسير، ج٤ ، ص١٨٦٩.

وورود لفظ (ذاقا) في الأعراف ولفظ (الأكل) في الآيتين عُبر عنهما بصيغتين مختلفتين علما أنَّهما تصوير لحدثٍ واحد، فالسر في ذلك كما أشار إليه الطاهر ابن عاشور " ودلت على أن بدو سوآتهما حصل عند أول إدراك طعم الشجرة، دلالة على سرعة ترتب الأمر المحذور عند أول المخالفة، فزادت هذه الآية على آية البقرة .[١]

ومن اللطائف والحكم البلاغية التي ذكرها الزركشي: في الفرق بين الآيتين في البقرة والأعراف، إبدال حرف مكان حرف في فعل (الأكل) ففي البقرة (وكلا) بالواو، وفي الأعراف (فكلا) فالفاء، وحكمته أنَّ: {اسكن} في البقرة من السكون الذي هو الإقامة فلم يصلح إلا بالواو ولو جاءت الفاء لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة والذي في الأعراف من المسكن وهو اتخاذ الموضع سكناً فكانت الفاء أولى ؛ لأنَّ اتخاذ المسكن لا يستدعي زمناً متجدداً.[٢] وفي المغايرة بين فعل الشيطان ففي سورة البقرة دلَّ فعل الشيطان على الزلل لهما في البقرة: ﴿ فأزلهما الشيطان ﴾ ، وفي الأعراف ﴿ فوسوس لهما ﴾ .[٣] سَوْءَاتُهُمَا

وثمة ملحظ ينبغي الوقوف عليه وهو ما سرُّ ورود الآيتين بتعبيرين مختلفين مرة بالذوق ومرة بالأكل وهو توافق كل معنى مع سياقه فسياق سورة طه ورد فيه التصريح بلفظ الجوع مع ذكر المعصية صريحاً وهو ما يتناسب مع الأكل، وأما سياق سورة الأعراف فهو للتحذير من الاقتراب من الشجرة والنهي عن الأكل منها فناسب ذلك لفظ الذوق إذ النهي معناه اجتناب القليل والكثير وعدم تتبع الطرق التي تؤدي إليه .

(١) بتصرف ، ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ج ،ب٨،ص٦٢
(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٨١
(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص١٣٠

المطلب الثاني

الذوق في التشريع والأحكام والأخلاق

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة ٩٥]

من سنن الله تعالى في عباده المؤمنين سُنة الابتلاء فقد أجرى الله تعالى هذه السُنَّة على عباده المؤمنين، وسبق هذه الآية أنْ حرم الله على المُحرِم في الحج صيد البر، ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقع في حدود الله، وقد جعل الله الصيد كثيراً حتى كان يغشاهم في رحالهم أخْذاً باليد وطعناً بالرمح ليعلم الله من يخافه بالغيب، وقد ذكر الله تعالى بقوله : ﴿ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ ﴾ جاءت الآية لتدل على التقليل والتصغير ليعلم أنَّه ليس بفتنة من الفتن العظام. (١)

واقترن لفظ (الذوق) مع هذه العبادة العظيمة في مقام الأخلاق التي يجب على المؤمن أن يتأدب بها، ولقدسية المكان من حرمة فوجب على المسلم أنْ يلتزم الأخلاق التي أمر الله بها، فابتدأ بمناداتهم باسم الإيمان حثّاَ على الالتزام وطاعة أمر الله تعالى، وجاء لفظ (الذوق) في هذا المقام لبيان حكم شرعي وما يترتب عليه من كفارات.

(١) ينظر الزمخشري ، الكشاف ، ج١ ، ص٦٧٧

والشاهد الذي نحن بصدده ؛

أولاً : إنَّ الآية مدنية وهي سورة المائدة، ولذا أخذت خصائص الآيات الموضوعية، فنرى أنَّ في الآية تفصيلاً لهذه الأحكام وبيانها.

ثانيًا: لأنَّ المخاطبين هم المؤمنون بدلالة الافتتاح كما أشرنا متوافقة مع القوم المخاطبين بها، بخلاف الآيات المكية بخصائص موضوعية تتوافق مع طبيعة المخاطبين وهم معاندون ومنكرون وهم كفار قريش [1]

ورود لفظ (الذوق) في هذا المقام بصيغة المضارع يدل على تجدد وقوع الفعل من الناس والاستمرار، وهذا الحكم باق وقائم وكذلك اقتران هذا الفعل بالتوكيد "ليذوق" والتعليل لِيَذُوقَ متعلق بقوله: ﴿ فَجَزَآءٌ ﴾ أي: فعليه أنْ يجازى أو يكفر، ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام. [2]

مما يدلنا على أنّ مقصد التشريع في ذلك هو العقوبة قولُه عقبه﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ﴾،وإنّما سمّي جزاء ولم يسمّ بكفّارة ؛ لأنّه روعي فيه المماثلة ، فهو مقدّر بمثل العمل فسمّي جزاء، والجزاء مأخوذ فيه المماثلة والموافقة قال تعالى: ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ [النبأ: ٢٦]. [3]

وقولهِ ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾ عطف على ﴿ كَفَّٰرَةٌ ﴾ والعَدل بفتح العين ما عادل الشيء من غير جنسه . وأصل معنى العدل المساواة . قال الراغب: إنّما يكون فيما يدرك بالبصيرة كما هنا ،وأما العدل بكسر العين ففي المحسوسات كالموزونات والمكيلات، وقيل: هما

(١) ينظر، العمار ، العمقامات الذوق ، ص١٩٠

(٢) ينظر الزمخشري ،الكشاف ج١، ص٦٧٧

(٣) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٧، ص٤٥

مترادفان. والإشارة بقوله: ﴿ ذَالِكَ ﴾ إلى طعام مساكين، وانتصب صياماً على التمييز ؛ لأنّ في لفظ العدْل معنى التقدير. (١)

﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ﴾، الوبال: السوء وما يُكره إذا اشتدّ ، والوبيل القوي في السوء ،مثل قوله تعالى ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴾ [المزمل :١٦] . وطعام وبيل: سيّء الهضم ، وكلأ وبيل ومستوبل ، تستوبله الإبل.

قال زهير:

إلى كَلأٍ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخَّمِ (٢)

والأمر: الشأن والفعل ، أي أمر من قتل الصيد متعمّداً . والمعنى ليجد سوء عاقبة فعله بما كلّفه من خسارة أو من تعب . وأعقب اللّهُ التهديد بما عوّد به المسلمين من الرأفة فقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ ﴾ ، أي :عفا عمّا قتلتم من الصيد قبل هذا البيان ومن عاد إلى قتل الصيد وهو محرم فالله ينتقم منه . والانتقام هو الذي عُبّر عنه بالوبال من قبلُ ، وهو الخسارة أو التعب ، ففهم منه أنه كلّما عاد وجب عليه الجزاء أو الكفارة أو الصوم (٣)

---

(١) ابن عاشور ،التحريروالتنوير ، ج٧ ، ص٤٩

(٢) ديوان زهير ، ص٢٥

(٣) ابن عاشور ،التحريروالتنوير ، ج٧ ، ص٤٩

قال صاحب فتح القدير ليذوق وبال أمره (عليه لإيجاب الجزاء أي أوجبنا ذلك عليه ليذوق وبال أمره والذوق مستعار لإدراك المشقة ومثله) عفا الله عما سلف ، يعنى في جاهليتكم [١].

و قال صاحب البحر المحيط ﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ﴾ ، الذوق معروف واستعير هنا لما يؤثر من غرامة وإتعاب النفس بالصوم والوبال سوء عاقبة ما فعل وهو هتك حرمة الإحرام بقتل الصيد، قال الزمخشري ليذوق متعلق بقوله ﴿ فَجَزَآءٌ ﴾ أي فعليه أن يجازى أو يكفر ليذوق . وهذا لا يجوز إلا على قراءة من أضاف ﴿ فَجَزَآءُ ﴾ أو نون ونصب ﴿ مِّثْلُ ﴾ وأما على قراءة من نوّن ورفع ﴿ مِّثْلُ ﴾ فلا يجوز أنْ تتعلق اللام به ؛ لأنَّ ﴿ مِّثْلُ ﴾ صفة لجزاء.[٢]

---

(١) ابوحيان ، البحر المحيط ، ج٤،ص٣٦٨، والشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار النشر: دار الفكر – بيروت، عدد الأجزاء: ٥، .ج٢ص٧٨

(٢) أبو حيان ،البحر المحيط ،ج٨ ، ص١٩٨

المطلب الثالث

الذوق في استشعار الموت عند مفارقة الروح للجسد

جاء لفظ الذوق مقترنا بمعاينة الموت وكيفية خروج الروح من الجسد وما تلاقيه النفس من صعوبات ومشاق وآلام في أربعة مواضع من القرآن الكريم ، ثلاثة منها على صيغة واحدة وهي ذوق الموت وفي هذا إثبات ، لذوق الموت ، والأخرى في: نفي الموت إلا التي في الدنيا وديمومتها في الآخرة وذلك:

- قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [ال عمران]
- قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء]
- قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٥٧﴾ [العنكبوت]
- قال تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦ ﴾[الدخان]

لما كتب الله تعالى الفناء على الناس، بين الحكمة والعبرة من ذلك وهي متعددة، منها الجزاء على الأعمال والوفاء والاستقامة في الحياة الدنيا والكل صائر إلى الله تعالى، وجاء لفظ الذوق ليدلَّ على كيفية منازعة الروح للبدن وهي تتذوق تلك المرارة التي لا بد منها، فلا مفرَّ ولا مهرب منها، فهذه الموتة هي الموتة التي لايذاق بعدها موت ، فما بعدها دائم غير منقطع ، حياة أبدية خالدة ، إمّا نعيم مقيم وهو للمؤمنين المصدقين بيوم الدين أو خلود في الجحيم . إذاً فكل نفس ملاقية ومعاينة ذلك الموقف وجاء الذوق في هذه الآيات ليعطي ويصور تلك الإشارات

والمقدمات وما تعاينه وتعانيه النفس وما يصيبها من تلك الآلام، والغصص، وأنَّ النفس تذوق مرارة مفارقتها للجسد[1]، وكذلك كل نفس خلقها الله تعالى، فهي منفوسة تباشر هذه المرارة وتتطعم طعم مفارقة البدن وتحسُّ به، كذلك في هذا إشارة إلى أنَّ النفس لا تموت بموت البدن؛ لأنَّ موت البدن لا يعني موت الروح؛ لأنَّ الذي يذوق هو الموجود، فالذوق شعور لا يحسُّ به إلا من كانت به حياة.[2] ولما ذكر الله تعالى ﴿ كُلُّ نَفۡسٍ ﴾ ولم يذكر كل إنسان، أو كل البشر؛ لأن النفس هي التي تذوق مرارة فراق الجسد، فالموت ينصب عليها ابتداء، وقوله: ﴿ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾ عبَّر عن الفراق بالذوق كان الموت شيئاً يذاق، وفيه تشبيه الموت بالذوق؛ لأنَّ كليهما يعتريه ألم ومرارة.[3]

فكل هذا بمنزلة المقدمات للمؤمنين حتى لا يركنوا ويطمئنوا إلى الدنيا، فالمؤمن والكافر، واقع به الموت لامحالة، فلما بيَّن الله تعالى أحوال المشركين يوم القيامة بأنّهم من أهل النار وبشرهم بالخسارة، فما كان من المشركين إلا أنْ ازداد بطشهم، وأذاهم على المؤمنين ومنعوهم من العبادة، فجاء الأمر الإلهي ليخفف عنهم تلك المعاناة وذلك بترك الدنيا وزخرفها، وعدم الركون إليها، والهجرة إلى حيث يستطيعون أنْ يعبدوا الله تعالى، وبما أنَّ الإنسان بفطرته يحبُّ أرضه وماله، كانت مفارقة الأوطان عزيزة غالية، والنفس تكرهها، فبيَّن سبحانه وتعالى أنَّ ما يكرهون ويحذرون واقع لا محالة، إما بالهجرة أو الموت، فمن باب أولى أنْ يكون بطيب النفس ورضا بأمر الخالق، ليتحقق لهم ما تطمئن به نفوسهم وترتاح، وينالوا رضا الله، بالفوز بنعيم الجنة، وما

(١) ينظر ، عبد العزيز العمار ، مقامات الذوق، ص١٨٤

(٢) المراغي ، تفسير المراغي، ج٤ ، ص١٥٢

(٣) ابي زهرة ، زهرة التفاسير، ج٩ ، ص٤٨٦١

أعدَّ الله تعالى لهم من نعيم مقيم خالدين فيه أبدا، وكل هذا إنما كان لدعوة الصحابة للهجرة من مكة، إلى حيث يستطيعون أن يعبدوا الله تعالى، ويروى أن الآية نزلت فى قوم تخلفوا عن الهجرة، وقالوا: نخشى إن نحن هاجرنا أصابنا الجوع وضيق المعيشة، وفي هذا اشارة أيضا إلى الأمر بترك الموطن الذي لا يستطيع الإنسان ان يتعبد الله تعالى فيه ويقيم شعائره إلى مكان غيره (١)

وفي هذا حث من الله تعالى على عدم التعلق بالنفس، بل التعلق بالله وبما عند الله، وكل نفس متعلقة بغير الله فهي هالكة بلا شك، فمن يريد الا يذوق الموت لا يبقى مع النفس فإن النفس ذائقته بل يتعلق بغيره، والغير إذا كان غير الخالق فهو ذائق الموت ومورد الهلاك لا شك فيه.(٢)

وثمة أمر آخر أن كل هذه الآيات جاءت في مقام التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك من خلال إزالة الحزن من قلبه الشريف، وذلك بالتذكير بأن عاقبة الكل الموت، وأن كل ما لاقى وعانى الإنسان سيزول ويذهب يوم القيامة، وما دام الأمر كذلك فالإنسان العاقل لا يكترث إلى ذلك .(٣)

ويضاف إلى ذلك أمرٌ ثانٍ، أن بعد هذه الحياة دارٌ وحياةٌ أُخرى يتميز فيها الناس من بَرٍ وفاجرٍ وسينال كل واحد جزاء ما قدم في هذه الحياة، وفي هذا من القوة بمكان في إزالة الغم والهم من قلب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام (رضي الله عنهم)، وتهوين أمر الهجرة عليهم، الذي كان الهدف الرئيس الذي أراده الله تبارك وتعالى أن يجعله نصب أعين النبي صلى

---

(١) ينظر: المراغي ، تفسير المراغي، ج٢١ ص١٤.
(٢) ينظر،الرازي ، مفاتيح الغيب في ج٢٥ ،ص٧٠-٧١
(٣) ينظر ،الرازي ،مفاتيح الغيب في ج٢٥ ،ص٧٠-٧١

الله عليه وسلم وأصحابه، فإذا حقُرت الدنيا أمام الإنسان، شرُف الهدف وسما، أما اذا عظُمت الدنيا، وتمكنت من القلوب، ضعُف وضاع المطلوب.(١)

بعد أنْ هيّأ الله تعالى نفوس عباده المؤمنين، بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ بأنْ هوَّنْ عليهم الموت بعدم الركون للدنيا وزخْرُفِها، وجعل تلك النفوس مستعدة للموت في سبيله، زاد في تسليته مرةً أخرى وبين أنّه كما لقي النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه من الكفار يوم أحد فسيلقون منهم كذلك من الإيذاء في النفس والمال، فبعد ما ذكر قوله تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ١٨٦ ﴾ [ال عمران ١٨٧]

والعبرة والغاية من هذا الأخبار أنْ يوطنوا أنفسهم على تحمل الأذى والمشقة وأن يصبروا على ما سيلقونه ويتركوا الجزع حتى لا يعظم عليهم البلاء عندما يقع بهم.(٢)

وعند تأمل هذه الآيات نجد فيها معاني مشتركة في سياقها منها:

أول هذه المعاني مجيء لفظ الذوق بصيغة اسم الفاعل الدالة على وجود الذات المتعلقة بالجسد إذ النفس لاتموت ولو ماتت لما ذاقت الموت في حال موتها؛ لأنَّ الحياة شرط في الذوق وسائر الادراكات) (٣)

---

(١) ينظر، الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج٢٥، ص٧٠-٧١

(٢) ينظر ، المراغي ، تفسير المراغي، ج٤،ص١٥٣

(٣) السنيكي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ، ص١٠٢

ومعنى آخر وضَّحه سياق الآيات حال المؤمنين من جهة وحال المشركين والمنافقين من جهة اخرى .

وعند تأمل هذه الآيات نجد ان الآيات الثلاث اشتركت في التذكير بيوم المعاد، وأنّ الموت ليس نهاية الإنسان إنما مرحلة يمر بها للوصول إلى ذلك اليوم .

المسألة الثانية : أما قوله تعالى ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦ ﴾ الآيات التي سبقت هذه الآية الكريمة تنقل لنا صورة من حياة المشركين وهم كفار قريش، وهذه الصورة الاعتقادية التي لاتكاد تفارق حياتهم ليلاً ونهاراً وهي مسألة إنكار البعث والحساب أولاً ، أو التشكيك بالموت وملاقاته،وذوقه ثانياً وقد صور القرآن العظيم هذه الأحداث والعقائد في آيات كثيرة وفي مواطن عدة ، ولاسيما هذه التي نحن بصددها ، فأزال الله بها الشُبه الزائفة وفندها لكي لا يرتاب المؤمنون وأهل الكتاب وليقول الذين في قلوبهم مرض ماذا أراد الله بهذا مثلا، وهي قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ إِن هِيَ إِلَّا مَوتَتُنَا ٱلأُولَىٰ وَمَا نَحنُ بِمُنشَرِينَ .... ﴾ الآيات ، وكيف هم في شك من البعث والقيامة ، وإصرارهم على الكفر ، ثم بين الله تعالى أن قوم فرعون كانوا في إصرارهم على الكفر كهؤلاء، وقد أهلكهم الله، وأنجى بني إسرائيل، ثم عوداً على بدء إلى الحديث الأول، وهو إنكارهم للبعث، وقولهم: إنه لا حياة بعد هذه الحياة فإن كنتم صادقين، فاسألوا ربكم، يعجل لنا إحياء من مات، حتى يكون ذلك دليلا على صدق دعواكم النبوة، والبعث والقيامة، ثم توعدهم بأنه سيصار بهم سنة من قبلهم من المكذبين، فقد أهلك اللهُ

من هم أقوى منهم بطشا، وأكثر جندا، وأكثر مالاً ،عاد وفرعون وثمود وغيرهم من الأقوام السابقين ، حتى لا يحيق بكم بأس ربكم. (١)

إذاً كل هذه الاحداث سبقت هذه الآية الكريمة ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ التي تتحدث عن نفي صفة الموت في الحياة الآخرة ،إذ ليس في الجنة عشرة أشياء ومنها الموت، والمراد: بيان استحالة ذوق الموت فيها على الإطلاق، كأنه قيل: لا يذوقون فيها الموتة إلا إذا أمكن ذوق الموتة الأولى في المستقبل، وذوق الماضي غير ممكن في المستقبل، لا سيما في الجنة التي هي دار الحياة فهذا من باب التعليق بالمحال كقوله تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ والمقصود: أنهم لا يذوقون فيها الموت البتة، ،و﴿ إِلَّا ﴾ بمعنى(بعد) كما اختاره ابن جرير، أو بمعنى (سوى) ، وقد يكون في هذا دليل على نفي الحياة والموت في القبر. ويراد به جنس الموت، المتعارف المعهود عليه فيما بين الخلق، فإن الموت المعهود لا يعرى عن الغصص، أي أنّ أهل الجنة لا يخافون موتًا ولا فناء أبدًا، كما ثبت في "الصحيحين": أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "يؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت". (٢) والموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا، أي أنّ قبض الأرواح يكون في الدنيا ووقايتهم عذاب الاخرة وذلك هو الظفر بالبغية. (٣) واستثناء الموتة الأولى، لتحقيق دوام الحياة وعدم ذوق الموت ، فهذا الأستثناء يجعل النفي الأول العام بمنزلة النص الذي لا يتطرق إليه استثناء البتة فذكر هذا

---

(١) بتصرف، الهرري ، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج٢٦، ص٣٨٠

(٢) البخاري، صحيح البخاري ، باب ،ج٦ ،ص ٩٣ ،برقم ٤٧٣٠ ، والامام مسلم ،ج٤،ص٢١٨٨، برقم ٢٨٤٩

(٣) بتصرف ، الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج٢٦،ص٣٩٨ ، وينظر، الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ،ج٤، ص٤٢٨،وينظر ،القشيري ، لطائف الاشارات ،ج٢،ص٣٨٧

الاستثناء كالتنبيه على قولنا إن الجنة الحقيقية هي حصول هذه الحالة، لا الدار التي هي دار الأكل والشرب. (١) ، التي في الدنيا، من موت في الجنة، لأن السعداء حين يموتون، يصيرون بلطف الله وقدرته، إلى أسباب من الجنة، يلقون الروح والريحان، ويرون منازلهم من الجنة، ويفتح لهم أبوابها، فإذا ماتوا في الدنيا، فكأنهم ماتوا في الجنة، لاتصالهم بأسبابها، ومشاهدتهم إياها. (٢)

فجمع الله للمؤمنين السعداء بين حسن المنزل الذي هو مستقر الجسد والروح ،وبين ما تتطلع اليه تلك الروح إلى نعيم يسعدها من حصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضا وتمام اللذة بالحور العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتا والمعنى لا يذوقون بعد الموتة الأولى موتا في الجنة. (٣)

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب ، ج٢٧،ص٦٦

(٢) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج٤ ، ص٩٤

(٣) ابن قيم الجوزيه، بدائع الفوائد، ٤،ج٣،ص٧٠و ج١،ص٢١٨ وينظر ،ابن قيم الجوزيه، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ،ج١،ص٣٢٦ وينظر، الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٣٠،ج٢٥، ص٢٤١

المطلب الرابع

الذوق في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝٧٣ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝٧٥ ﴾ [سورة الاسراء]

تتحدث هذه الآيات القرآنية الكريمة عن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، في التعامل مع المشركين وما ألمّت به من أحداث مع القوم، وما صوّره لنا القرآن من نقل تلك المشاهد، وعدم اعتبار المشركين بكل ما أنزل الله تعالى من القرآن وما ذُكِر لهم من عبر وقصص في إهلاك الأمم السابقة وعدم الإفادة من تلك الدروس، فقد شرعوا بمحاولات جديدة ليفتنوا بها النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض ما أنزل الله تعالى عليه من القرآن، وما همّوا به من إخراجه من مكة، وبإغرائه باستمالته إليهم من خلال أنْ يجعل أرضٍ حرماً لهم كالبيت العتيق أو يجعل لهم مجلساً يليق بمقامهم كما يزعمون، أو أنْ يعبدوا الله ولكن مقابل أنْ يترك التنديد بآلهتهم، لكنّ الأمر إيمان وكفر، والمسألة مهمة والأمر مفصلي، فكثير من الأمور والمسائل لا تحتمل المساومة أو التنازل، فالتنازل عن شيء ولو كان نزراً يسيراً قد يفقد كل شيء، ولكن رعاية الله تعالى له وإحاطته به، وعصمته تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، هي التي أحبطت تلك المؤامرات، ولو ظفروا بأي من تلك المحاولات لأهلكهم الله جميعاً، كما فُعِل بمن قبلهم.(١)

(١) ينظر، سيد قطب ، في ظلال القرآن، ، ج٤ ، ص٢٢٤٥.

والقصة في وفد ثقيف الذين جاءوا يساومون النبيَ صلى الله عليه وسلم ويطلبون منه التنازلات في سبيل التقاء طرفي الكفر والإيمان على سبيل واحد من خلال ما يقدمه كل طرف للآخر، بعد كل هذه الأحداث جاء التعبير القرآني ليبين لنا في هذه الآيات علو المقام المحمدي في لفظ ﴿ لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ فالإذاقة بالمضاعفة أي لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظيم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك فجاءت (إِذًا لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة لأذقناك ضِعْفَ الحياة وَضِعْفَ الممات) ؛ لأن العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار. [١]

وإضافة الضعف إلى الحياة وإلى الممات على معنى (في) ، فإن تقدير معنى (في) بين المتضايفين لا يختص بإضافة ما يضاف إلى الأوقات، ونظيره قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ من الآية ٣٣] ففي لفظ (الليل والنهار) معناه (في الليل والنهار)، فالتقدير: لأذقناك ضعفا في الحياة وضعفا في الممات، فضعف عذاب الحياة هو تراكم المصائب والأرزاء في مدة الحياة، أي العمر بزوال ما كان يناله[٢] كما ذكر ذلك ابن قتيبة "أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات" .[٣]

---

(١) بتصرف ،النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو،الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٣،ج٢ ص٢٧١

(٢) بتصرف،ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ج١٥ ،ص١٧٦

(٣) ابن قتيبة، ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) ،تأويل مشكل القرآن ، تح: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ج١، ص١٣٣

وأيضا الضعف "عبارة عن أنْ يضم إلى الشيء مثله" [١] وكما اشتهر أن حسنات الأبرار سيئات المقربين [٢] ومحصلة هذه الأحداث أنك يا أيها الرسول لو مكنت ما أراده الشيطان والمشركون من خواطر وبما جاءوا به من أمنيات لاستحققت بهذا الامر قوله ﴿ لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ وتحقق فيك تضعيف العذاب عليك في الدارين ولصار عذابك يساوي مثلي عذاب المشرك ومثليه في الآخرة، ويرجع سبب هذا الجزاء في العذاب أن نعم الله تعالى في الأنبياء كثيرة، فكانت ذنوبهم أعظم فكانت العقوبة أكثر، ونظيره قوله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾ [الاحزاب ٣٠، بين الله أن عذاب زوجات النبي صلى الله عليه وسلم هو ضعف عذاب نساء العالمين وفي هذا دليل على علو منزلتهن وشرفهن، ثم بين سبحانه وتعالى إذا ما وقع العذاب بقوله تعالى: ﴿ لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ لا يجدُ النبيُ صلى الله عليه وسلم من يردُّ عنه العذاب والعقاب، وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يبدر منه أو يقع منه تصرف كهذا. [٣]ولكن في هذا الأمر من العبرة والعظة للناس من العظمة بمكان، إذ إنّ الله عزو جل أخبر بحُكمِهِ هذا في حق الأنبياء عليهم السلام إذا خالفوه وحاشاهم، فمن باب أولى أنْ يحذر غيرهم أشدَّ الحذر.[٤]

ولكن ثمة أمر آخر ينبغي الإشارة والوقوف عليه، وهو أن الحفظ الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم ولدينه نفى عن شخص النبي أن يكون له الرغبة بكل ما غروه به وهادنوه عليه، لأن هذا محال من جانب الأنبياء والمرسلين وذلك من جوانب:

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب ،ج٢١،ص٣٧٩

(٢) الالوسي ، روح المعاني ،ج٨، ص٧٥

(٣) ينظر، الرازي،مفاتيح الغيب، ج٢١، ص٣٧٨

(٤) النحاس ، أعراب القرآن، ج٢، ص٢٨٠

- كان مجيء هذه الآية ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ فيها من المشقة والهم والغم على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، لما فيها من التوعد بالعذاب والتشديد، قال القرطبي: "وَهَذَا غَايَةُ الْوَعِيدِ. وَكُلَّمَا كَانَتِ الدَّرَجَةُ أَعْلَى كَانَ الْعَذَابُ عند المخالفة أعظم".[١]

فكان ذلك قد أحزن رسوله الكريم حتى نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحج من الآية ٥٢] ويتبين أنه ليس هو الوحيد من الأنبياء الذي عانى وواجه كيد أقوامهم ومكر الشيطان، وفي هذا من التسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم، والعفو له، وفي هذا دليل على عدم وقوع وحصول أي عذاب أو تنازل منه للمشركين .[٢]

- مجيء فعل المقاربة (كاد) لا يلزم الوقوع في الفعل إنما أفاد الاقتراب دون العمل .
- ذكر الله تعالى (الركون) وهو الميل القليل ولكن من دون وقوع .
- وجود حرف ﴿ لَوْلَآ ﴾ الذي يفيد امتناع حصول الفعل .
- كذلك مجيء الفعل ﴿ ثَبَّتْنَٰكَ ﴾ يدل على أنَّ الله تعالى قد ثبت النبي صلى الله عليه ولم يزل .

(١) القرطبي،الجامع لاحكام القرآن، ج١٠ ، ص٣٠١،

(٢) ينظر، ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، أحكام القرآن راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٤، ج٣، ص٣٠٣

- من اللطائف التي ذكرها السخاوي في هذه الآية ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ لا يوقف عليها، ولا يبتدأ بقوله تعالى ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ﴾. (١)

- ووصف النكرة بـ (قليلاً) التي تفيد التقليل، فأصبح قليلاً على تقليل واقع ولا مقارب الوقوع؛ لأنَّ الآية قد نفته بأربعة أمور، وهي: (لولا) الامتناعية. وفعل المقاربة المقتضي أنه ما كان يقع الركون ولكن يقع الاقتراب منه، والتحقير المستفاد من (شيئاً)، والتقليل المستفاد من (قليلاً).

أي لولا إفهامنا إياك وجه الحق لخشي أن تقترب من ركون ضعيف قليل ولكن ذلك لم يقع. ودخلت (قد) في حيز الامتناع فأصبح تحقيقها معدوماً، أي لولا أن ثبتناك لتحقق قرب ميلك القليل ولكن ذلك لم يقع لأنّا ثبتناك.

وجملة إذا لأذقناك ضعف الحياة جزاء لجملة لقد كدت تركن. والمعنى: لو تركن إليهم لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات. ولما في (إذن) من معنى الجزاء استغني عن ربط الجملة بحرف التفريع. والمعنى: لقد كدت تركن فلأذقناك.

والضعف– بكسر الضاد–: مماثل مقدار شيء ذي مقدار، فهو لا يكون إلا مبيناً بجنسه لفظاً أو تقديراً مثل قوله تعالى﴿ من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾ [النور: ٣٠]، أي ضعفي ما أعد لتلك الفاحشة. ولما كان كذلك ساغ إطلاقه دون بيان اعتماداً على بيان السياق كما هنا، فإنّ ذكر الإذاقة في مقام التحذير يُنبؤ بأنّها إذاقة عذاب موصوف بأنّه ضعف.

---

(١) السخاوي، ، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، جمال القراء وكمال الإقراء، تح: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت، ط١ ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء:١، ص٧١٨.

كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك إلى قوله إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات قال مالك بن دينار سألت جابر بن زيد عن قوله إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات فقال إذا لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات. (١) قال أبو جعفر وكذلك معناه عند أهل اللغة وخوطب بهذا النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الثواب به جزل كما قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ ﴾ [الاحزاب ٣٠] ولمشاهدة الأنبياء والملائكة والآيات العظام كان في ذلك الخطاب من الفائدة أنه علم به أن هذا حكم الله فيمن عصاه من الأنبياء فكيف غيرهم (٢) ثم لا تجد لك عِزّاً تمتنع به ممّا نريد إحلاله بك، وهذا هو النصير.(٣)

وإنّما هذا وأمثاله في بيان آثار المعاصي وليس من ضرورة ما علق بشرط أن يقع. (٤)

---

(١) النحاس ،أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ)، معاني القرآن، تح: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ط١،، ١٤٠٩، ج٤ ،ص١٧٩.

(٢) نفس المصدر السابق

(٣) الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ج١،ص٨٦٤

(٤) ابن الجوزي ،جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، نواسخ القرآن = ناسخ القرآن ومنسوخه ،تح: أبو عبد الله العاملي السّلفي الداني بن منير آل زهوي، الناشر: شركه أبناء شريف الأنصارى – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ١، ص١٦٠

المطلب الخامس

((الذوق مع الكنز في الدنيا))

والعذاب في الآخرة

قال تعالى :﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾ [التوبة]

جاءت هذه الآيات الكريمة لبيان نقائص بعض أهل الكتاب من الأحبار والرهبان الذين يحتالون على أموال الناس بأخذها بالباطل ، ويقابل هذا الأمر إشارة صريحة للمؤمنين بالترفع عن هذا الفعل حتى لا يُشابهُوهم ، فيدخلون في وعيد الله ، وكانوا يأخذون من أموال أتباعهم ضرائب باسم الكنائس والبِيَع ، ليخدعوهم بأنها من الشرع والدين ، وكانوا يرتشون في الأحكام ونحوها.(١)

ومجيء النفس مع الكنز مقترنين دلالة على طلب الانتفاع منهم بما يكنزون ويتلذذون به فتنافسوا به فلم ينفقوه فيما أمر الله ، وماعلموا بأنّ ما كنزوه سيعذبهم الله به.

(١) ينظر ،ابن عطية ،المحرر الوجيز ،ج٣، ص٢٧

﴿ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكۡنِزُونَ﴾ وكنز الشيء هو الفعل الأصل عندهم حرصاً على التجديد والاستمرار، وفيه إشارة على أنهم مجبولون عليه ، وفي الآية توبيخٌ لهم كبير.[١]

ويومئذٍ يوقد وتحرق على تلك الذهب والفضة المخزونة نار مع أنّها هي موضوعة في نار جهنم أبداً لتبلغ أشدّ الحرارة وهذا مبالغة لشدة احمائه ، وبعد ذلك صارت جذوة نار فتكوى بها الجباه والظهور ،ويعلموا على رؤوس الأشهاد جزاء ما افتخروا ويقال لهم حين الكي والتعذيب هذا ما كنزتم واختزنتم لأنفسكم لتنتفعوا بها وتسروا بجمعها وادخارها وهذا نفعها [٢] فذوقوا اليوم وبال ما كنتم تكنزون بدل ما قد كنتم تتلذذون بها. ويقال لهم ذلك على طريق التهكم والتوبيخ ، ذوقوا وباله وسوء عاقبته وقبح مغبته وشؤم فائدته، لأن الكنوز في اصلها لا تذاق.[٣] وهذا ماتقوله لهم ملائكة العذاب [٤] وإنّما خصّ هذه الأعضاء دون غيرها بالذكر؛ لأنّ السائل إذا سأل البخيل زوى عنه وجهه فإنْ ألحّ عليه ازورّ عنه بشِق جنبه الذي يليه فإن أَلْحف ولّاه ظهره .[٥]

---

(١) بتصرف ، الزمخشري، الكشاف ج٢ ص٢٦٩ ، والبقاعي ، نظم الدرر في تناسب الايات والسور ، ج٨ ،ص٤٤٨

(٢) بتصرف ، النخجواني ، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ) ،الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية ،الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر ،الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م،ج١ ،ص٣٠٤

(٣) ينظر، القنوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، ،ج٥،ص٢٩٥

(٤) ينظر ،محمد رشيد، تفسير المنار ،ج١٠ ،ص٣٥٥

(٥) الوطواط ، أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ)،غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة،ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م،عدد الأجزاء: ١، ص٣٦١

وتعميم جهات الأجساد بالكي، فإنّ تلك الجهات متفاوتة ومختلفة في الإحساس بألم الكي، فيحصل مع تعميم الكي إذاقة لأصناف من الآلام ، وعبّر عن التعميم بالإطناب بالتعداد لاستحضار حالة ذلك العقاب الأليم، تهويلاً لشأنه، فلذلك لم يقل: فتكوى بها أجسادهم. وبإضافة النار إلى جهنم علم أن المحمي هو نار جهنم التي هي أشد نار في الحرارة فجاء تركيباً بديعاً من البلاغة والمبالغة في إيجاز.[١]

وأخرج البخاري عن زيد بن وهب رضي الله عنه قال: مررت على أبي ذر رضي الله عنه بالربذة فقلت: ما أنزلك بهذه الأرض قال: كتابا للشام فقرأت ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فقال معاوية: ما هذا فينا هذه في أهل الكتاب قلت أنا: إنها لفينا وفيهم .[٢] وأخرج مسلم عن الأحنف بن قيس رضي الله عنه قال: جاء أبو ذر رضي الله عنه فقال: بشر الكانزين بكي من قبل ظهورهم يخرج من جنوبهم وكي من جباهم يخرج من أقفائهم فقلت: ماذا قال: ما قلت إلا ما سمعت من نبيهم صلى الله عليه وسلم.[٣]

---

(١) بتصرف ،ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج١٠،ص١٧٩

(٢) البخاري، صحيح البخاري ، باب ما أُدي زكاته فليس بكنز ،ج٢ ، ص ١٠٧

(٣) مسلم ، صحيح مسلم ،ج٢ ، ص ٦٨٩

المطلب السادس

((الذوق في العمل والكسب))

قال تعالى ﴿ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٤ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٥٥ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾ **[العنكبوت]**

قال تعالى ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٢٤ ﴾ [الزمر]

المسألة الاولى : جاءت الآيات القرآنية التي في سورة العنكبوت على طريقة القرآن تصوّر مشهداً عظيماً من مشاهد يوم القيامة ، لما فيه من التهديد والوعيد ، الذي في حقيقته رحمة للناس أملاً في ترك الذنوب وعدم الإصرار على المكابرة والمعاندة ، وذلك في استحضار المستقبل للكافر كأنَّه مشهود ، استحضار لحال الكافر وهو في جهنم ، كأنّها تصور لهم جهنم محيطة بهم ، مشهد يأخذ بالقلوب ، ولكنَّ المشركين لم يكونوا يدركون ويفهمون شيئاً من حكمة الله وتدبيره لهذا الأمر ، فكل هذا رحمة بحالهم ، فكانوا يستعجلون بالعذاب على سبيل التحدي ، وبعد الوعيد بعذاب الدنيا الذي يأتيهم بغتة وهم لا يشعرون، جعل يكرر استنكاره لاستعجالهم بالعذاب، وجهنم لهم بالمرصاد، وتصويره النار وأهوالها على حقيقتها المستورة يُوقع في الحس رهبة، ويزيد استعجالهم بالعذاب نكارة. فأنّى يستعجل مَنْ تحيط به جهنم، وهو في كامل قواه

العقلية ، وتهمّ أنْ تطبق عليه وهو غافل مخدوع ، ويرسم لهم صورتهم في جهنم هذه المحيطة بهم وهم يستعجلون بالعذاب ﴿ يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ . (١)

إنّه مشهد مفزع في ذاته، يصاحبه التقريع المخزي والتأنيب المرير، كل هذا التصوير سبق ، لفظ ﴿ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.. فهذه نهاية الاستعجال بالعذاب والاستخفاف بالنذير، وفي مقابل هذا الموقف وفي خضمّ هذه الأحداث ، يلتفت الخطاب الإلهي إلى المؤمنين، الذين يفتنهم أولئك المكذبون عن دينهم، ويمنعونهم من عبادة ربهم ، يلتفت إليهم يدعوهم إلى الفرار بدينهم، والنجاة بعقيدتهم. في نداء حبيب وفي رعاية إلهية ، وفي أسلوب يمسّ كل أوتار القلوب المؤمنة الراضية المطمئنة بالله : ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ ياعبادي الذين آمنوا: يناديها هكذا وهو يدعوها إلى الهجرة بدينهم . (٢)

وفي قوله نعالى ﴿ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.. اختصار شديد وهو أشدّ ما يكون من الاختصار للعقوبة ، ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون يقارب هذا المعنى؛ لأنّهم كانوا يعملون المعاصي، والمعاصي لا تُذاق في حقيقتها ، ففي قلة الكلام مافيه من علو مرتبة هذا الاختصار الشديد والإشارة إلى المعنى من الاحتقار والإهانة للكافرين .(٣)

---

(١) ينظر ، سيد قطب ، في ظلال القرآن ،ج٥ ص٢٤٧-٢٤٨

(٢) ينظر ، سيد قطب ، في ظلال القرآن ،ج٥ ص٢٤٧-٢٤٨

(٣) ينظر ، القصاب ،أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: نحو ٣٦٠هـ) ، النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ، تحقيق:الجزء ١: علي بن غازي التويجري ،الجزء ٢ - ٣: إبراهيم بن منصور الجنيدل ،الجزء ٤: شايع بن عبده بن شايع الأسمري،دار النشر: دار القيم - دار ابن عفان،الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ،عدد الأجزاء: ٤،ج ٣،ص٥٩٦

فهذا الجزاء من هذا العمل فهو من عمل العبد ،وهو ظُلْمٌ لنفسه وضَرٌّ عليها، ومن الله تعالى عدلٌ وحكمةٌ لا ظلمٌ ولا ضَرٌّ فيه ، وذلك لقوله تعالى: ﴿ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.. وفي الزمر ﴿ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكسِبون﴾.. سمَّاه كسباً لهم وعملاً . (١)

وفي قوله تعالى : ﴿ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه، وقيل: ذوقوا لوصول ذلك إلى المعذّب كوصول الذوق إلى الذائق. قال: دونك ما جنيته فحس وذق، ويجوز أن يكون القول للموكّلين بالعذاب دون المعذبين (٢) وفي إظهار حال الظالمين ، تحذير من ممارسة الظلم والوقوع فيه.(٣)

ويستعجلونك بالعذاب والاستعجال بطلب العذاب جاء على طريقة الاستهزاء والتكذيب(٤) ومجيء الفعل بصيغة المضارع لاستحضار حال استعجالهم لإفادة التعجيب منها، وفي قوله

---

(١) ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ)،العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ،حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط،الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م،عدد الأجزاء: ٩،ج٧ ،ص٢٠٠

(٢) عبدالغفار ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ) ،الحجة للقراء السبعة ،المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي،راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق،الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت ،الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م،عدد الأجزاء: ٧،ج٥،ص٤٣٦

(٣) ينظر ،الآبي ، منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى (المتوفى: ٤٢١هـ)، نثر الدر في المحاضرات،المحقق: خالد عبد الغني محفوط،الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م،عدد الأجزاء: ٧×٤،ج١،ص٤٧

(٤) الطيبي ، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ) ،فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)،مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج،القسم الدراسي: د. جميل بني طا،المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء،الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم،الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م،عدد الأجزاء: ١٧،ج١٢،ص١٩٠

تعالى: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ تصوير للإحاطة. والغشيان: التغطية والحجب.[1] وهذه الاية وصف لنار جهنم التي تختلف عن نار الدنيا ، فالمعلوم من نار الدنيا انها تحيط بالجوانب الاربع ، وذكر من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولم يقل من فوق رءوسهم، ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم . [2]

وهذا أبلغ في العذاب الحسي ويقول الله عز وجل تهديدا وتقريعا وتوبيخا، ليجتمع لهم العذاب الحسي والمعنوي.[3] ومنها: التهكم لأنه كناية عن مباشرة العذاب ودخوله.[4]

ولعل البعض يفهم من﴿ ذُوقُوا ﴾ الانقطاع انقطاع عذاب الكافر ، فالامر ليس كذلك لأن الله إذا قال ذوقوا دل على أنه أعطاهم جزاءهم وانقطع ما بينه وبينهم لكن يبقى عليهم ذلك دائما . [5]

بعد سماع المشركين لكل هذه الآيات من التهديد والوعيد ، ما كان منهم الا ان يزيدوا في عداوتهم وايذائهم للمسلمين في مكة ، فهوّن الله على المسلمين أمر الدنيا وذلك بإشارة الآيات التي بعدها، بأنّ نهاية كل إنسان هي الموت ، فوجب على المؤمن ألا يتكل على الأهل والوطن، إنّما على ربه ، ولما أشار بالتوكل إلى أنّه الكافي في أمر الرزق والمعيشة وكفالة

---

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٢١ ، ص١٨

(٢) الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج٢٥،ص٦٨

(٣) حوى، الاساس في التفسير، ج٢ ، ص ٤٢٢٢

(٤) الهرري ، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ،ج٢٢،ص٦٨

(٥) الرازي ، مفاتيح الغيب،ج٢٥، ص٧١

الأهل ، فليبادر من أنقذه الله من الكفر وهداه إلى الهجرة طلباً لرضاه. ثم بيّن في الآيات التي تليها أنَّ كثيراً من الدواب لا تحمل رزقها ، ولا تدخر شيئاً إنّما الله هو المتكفل بذلك .(١)

المسألة الثانية : أما الآية الثانية وهي من سورة الزمر وهي قوله تعالى :

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٢٤ ﴾ [الزمر ٢٤]

جاءت الآية القرآنية لتبين أنّ هناك فريقين باختصار، فريق مهتد وفريق ضال ، وشبههم كمن أمن العذاب ،أو هو في النعيم ومن هو في العذاب لا يستطيع دفع العذاب عن نفسه إلا بوجهه ؛ والاتّقاء بالوجه، كناية عن عدم ما يتقى به، إذ الاتقاء بالوجه لا وجه له، لأنّه لا يتقى به، ولا يخلو عن خدش، وأما الذي يتقى بهما في الحقيقة فهما اليدان، وفي هذا مجاز تمثيلي، لأنّ المُلقى في النار لم يقصد الاتقاء بوجهه، ولكنه لم يجد ما يتقي به غير وجهه، ولو وجد

(١) الخطيب ، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الكتاب: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير،الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة عام النشر: ١٢٨٥ هـ،عدد الأجزاء: ٤، ج٣، ص١٥٠

لفعل، فلما لقيها بوجهه كانت حاله حال المتقي بوجهه، فعبّر عن ذلك بالاتقاء.(١) والكافر يلقى النار أوّل ما يلقاها بوجهه لأنّه يرمى فيها منكوساً.(٢)

ومما هو معلوم من بني البشر أنه إذا لقي مخوفًا من المخاوف استقبله بيده، وطلب أنْ يقي بها وجهه، لأنّه أعز أعضائه عليه، والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه؛ فلا يتهيأ له أنْ يتقي النار إلا بوجهه الذي كان يتقى المخاوف بغيره، وقاية له ومحاماة عليه.(٣)

وقال: ﴿ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكسِبون﴾؛ فجعل الكسب في السيئات، كما جعله في الحسنات واكتسب يدل على شدة الكلفة، وفعل السيئة شديد لما يؤول إليه. (٤)

---

(١) صافي ،الجدول في اعراب القران ، ج٢٣،ص١٧٤

(٢) القشيري ، لطائف الإشارات = تفسير القشيري ، ،ج٣ ،ص٢٧٨

(٣) الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)،ج١٣ ،ص٣٧٥

(٤) العكبري ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ) ،التبيان في إعراب القرآن،المحقق : علي محمد البجاوي،الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه، عدد الأجزاء : ٢ ،ج١، ص٢٣٤

المطلب السابع

((الذوق مع الفتنة))

قال تعالى :﴿ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ [١٦ الذاريات]

تحدثت الآيات عن عذاب يوم القيامة وما يُصيب الكافرين من أهل النار، جزاء أعمالهم. والمتأمل لهذه الآيات يلمسُ فيها الوعيد والتهديد بأسلوب الخطاب الذي يقرع الآذان ويزلزل الأفئدة ويقلع القلوب ، ممّا يدلّ على عِظم المُنذَر به ، وهو الشك بمجيء يوم القيامة ، فناسب الأسلوب مقام الادّعاء الذي جاءوا به فقالوا: ﴿ أَيَّانَ ﴾ وهي كلمة استفهام يراد بها التكذيب والسخرية و"وإنما يقولون هذا تكذيبا وعناداً وشكّاً واستبعادًا" .(١)

وقوله تعالى﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ يليق بأن يكون جواباً عن قولهم أيان يقع وحينئذ كما أنهم لم يسألوا سؤال مستفهم طالب لحصول العلم كذلك لَمْ يُجبهم جوابَ مجيب معلم مبين، ويحتمل معنى يفتنون ، أنَّهم يُعرضون على النار عَرْض المجرب الذهب على النار ليعرف غشه ، وبيَّن سبحانه وتعالى أنَّ اليوم الذي يكذبونه هو يوم

(١) ينظر ، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ،ج٧، ص٤١٥

معادهم وعذابهم وحرقهم لو كانوا يفقهون ، فقال تعالى لهم ﴿ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ ﴾ و"إطلاق اسم الفتنة على العذاب جائز، وذلك من باب إطلاق اسم السبب على المسبب" .(١)

فَذَكر بعد التأنيث كأنه أراد: هذا الأمر الذي كنتم به تستعجلون.(٢) وأصل الفَتن: معالجة المعدن كالذهب في البوتقة ليظهر غشه ويبان أمره وما فيه من غير الذهب ، وهذا لا يكون إلا بحرارة نارٍ شديدة ، ثم استعمل في الإحراق والتعذيب ، فهو هنا كناية عن الإحراق الشديد، ويقال لهم ذلك تحقيراً لشأنهم وتوبيخاً لهم وتنكيلاً عليهم ، وهذا هو حال الكافرين المستبعدين لليوم الآخر. وذكر الله سبحانه ما يناسب هذا الحال والمقام ليقابل به حال المصدقين بيوم الحساب والمعاد وهم المتقون إنَّهم بعد معادهم في جنات وعيون بخلاف ما عليه أولئك الأشقياء من العذاب النكال والحريق والأغلال ، فالمتقون كما ذَكَرت اوصافهم أوائل سورة البقرة بأنهم لا يشكّون في القرآن، ويؤمنون بالغيب، ولا يرتابون في الوحي، ولا يرتابون في اليوم الآخر، وهذه الصفات عكس صفات الذين يفتنون.(٣)

وإنَّ الكافرين لأجل الكذب كانت نفوسهم لا تهدأ ولا تسكن ، وفي هذا إشارة إلى الذين يكذبون في أعمالهم لما يتداخلهم من الرياء، ويكذبون في أحوالهم لما يتداخلهم من الإعجاب، ويكذبون على الله فيما يدّعونه من الأحوال .... فكانت النتيجة أنهم في

(١) الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج٥،ص٢٩٠

(٢) الاخفش ، معاني القرآن ،ج١،ص١٣٩

(٣) ينظر ، ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٢٦،ص٣٤٤-٣٤٨ و ينظر ،سعيد حوى، الاساس في التفسير ، ج١٠ ، ص٥٥١٠

العذاب محضرون ، وذاقوا فتنهم على النار كما يحسُّ الذائق ذوق المطعوم ليصل طعمه إلى فمه ومن ثم آثار ذلك المذوق إلى سائر جسمه . [١]

المطلب الثامن

((الذوق مع الكبرياء))

قال تعالى : ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩﴾ [الدخان]

نزلت هذه الآية في أبي جهل كما قال كثير من السلف رضي الله عنهم نقلاً عن أقوال المفسرين.[٢] بما يُنقل عنه أنّه أدَّعى أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم توعده بالعذاب والتهديد فيقول: أيوعدني وليس بين جبليها أعزُّ ولا أكرم مني ، فنزلت فيه هذه الآية ، فلما عذبه الله بكفره قال له : ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩﴾ في زعمك الكاذب ، والمعنى أنت لست بعزيز ولا كريم ، إذ لاعزة إلا بالعبودية لله تعالى ، بل أنت المهان الخسيس الحقير ، فهذا التقريع والتوبيخ له إنَّما هو نوع من أنواع العذاب عليه، ويتوهم من ظاهر الآية ثبوت العزة والكرم لأهل النار ولكن هي بخلاف ذلك فإنَّ هذا أسلوب من المهانة والازدراء بهم.[٣] فقد استعيرت العزة والكرامة للذلة والمهانة، استعارة عنادية تهكمية.[١]

(١) القشيري ، لطائف الاشارات ،ج٣ ،ص٤٦٢

(٢) ينظر ،ابن جرير ،تفسير الطبري ،ج٢٢،ص٤٨

(٣) ينظر ،ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ،ج٧،ص٢٦٠ ، وينظر ،الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، الناشر : مكتبة

وتدلُّ الآية على أنَّ لأئمة الكفر عذابًا أشد من عذاب غيرهم، خاصاً بهم؛ لأنّهم بضلالتهم يضلون خلقاً كثيراً ، وبهدايتهم يصلحون أناساً كثيراً، فكان من الأولى به الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ،ولا سيما أنّهم يعرفون صدقه وأمانته ولكن هي الأنفةُ والكبرياءُ تقتلُ أصحابها ولا يؤمنون. (٢)

من خلال الوقوف على الآيات في هذا الفصل الذي تطرقنا فيه إلى بعض الجوانب التي لها علاقة بألفاظ الذوق نلاحظ ثمة أموراً هامة في ورود لفظ الذوق مع قصة آدم عليه السلام ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ ﴾ أنه لم يكن القصد من الذوق المعصية ،إنَّما معرفة الطعم فقط ، فلم يجد سبحانه وتعالى لهما العزم في الذنب فغفر لهما وذلك كون الأنبياء معصومين عن الخطأ .

وفي اقتران الذوق بأفعال الحج تشريع وأدب عظيم وحكمة بالغة وأخلاق عالية إذا ما التزمنا بها.

ومع ذوق الإنسان للموت أمر لا بد منه ولا مفر ، وهو معاينة هذا المشهد بالروح والنفس والجسد، كما ثبت عند البخاري أن عائشة رضي الله عنها، كانت تقول في وصف موت النبي

ابن تيمية – القاهرة ، توزيع : مكتبة الخراز – جدة،الطبعة : الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ج١،ص٢٠٨وينظر، العمار ، مقامات الذوق، ص٢٤٣ ،وينظر ابن رجب ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) ،التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ،المحقق: بشير محمد عيون،دار النشر: مكتبة المؤيد – الطائف، دار البيان – دمشق،الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ – ١٩٨٨،عدد المجلدات: ١، ص١٨٥

(١) مناهج جامعة المدينة العالمية، البلاغة ، البيان والبديع ،الناشر: جامعة المدينة العالمية عدد الأجزاء: ١ ،ص١٨١

(٢) حوى ، سعيد حوّى ،الأساس في السنة وفقهها – العقائد الإسلامية ،الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ،الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م،عدد الأجزاء: ٣ ، ج٣،ص١٣٨١

صلى الله عليه وسلم " إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين يديه ركوة – أو علبة فيها ماء، يشك عمر – فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: ((لا إله إلا الله، إنَّ للموت سكرات)) ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده قال أبو عبد الله: العلبة من الخشب، والركوة من الأدم. (١)

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاسي هذه السكرات – وهو سيد ولد آدم – فكيف بنا.

وفي ذوق الموت وسكراته ، والوقوف عند هذه الحقيقة والعيش معها من قبل الصحابة رضي الله عنهم ، ما هوَّن عليهم مفارقة الأهل وترك الأوطان ، والفرار بدينهم ، والهجرة في سبيل الله إلى المدينة .

الذوق في صيغة (لأذقناك) الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم خطاب تشريف وعلو مقام وليس خطاب وعيد وتعذيب ، والمضاعفة بالعذاب لا تدل على وقوع الفعل منه أو مقاربته ، إنَّما يدل على سمّو مقام النبي صلى الله عليه وسلم وسمّو ما جاء به ولهذا جاء الخطاب بهذا المقال لعلو المقام .

ذوق الكنز في الآخرة هو إذاقة صاحبه ومُكْتَنِزِه العذاب ، وسببه كنز المال في الدنيا ، وجاء بهذا اللفظ ذمَّاً للمال إذا لم يُؤدَ حقُّه وسيكون وبالاً على صاحبه يوم القيامة .

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٨ ،ص١٠٧ ، برقم ٦٥١٠

ذوق العمل والكسب، أي ما قدَّم الإنسان وما عمل فسيذوق جزاء أفعاله في الدنيا من استعجال بالعذاب على سبيل التحدي وإنكار وقوعه ومجيئه ، والتعبير بالكسب لما فيه من الشدة والثقل والكلفة على النفس .

ذوق الفتنة يكون بالعرض على النار ، كما يُعرض الذهب على النار ليُعلم غشه من عدمه ، فكما سألوا عن يوم القيامة سؤال تكذيب بها واستهزاء بمجيئه ، فسوف يشاهدونه عياناً فيومئذٍ لا يستطيعون تكذيبه.

ذوق العذاب لا يكون لعزيزٍ ولا لكريمٍ ، ولكن وروده في الآية على سبيل الضدَّ قصداً التهكم والسخرية فإنّك لست بعزيز ولا كريم ، ولكنك مهانٌ ذليل .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته يتم كل عملٍ صالح ، والصلاة والسلام على سيدنا وإمامنا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد : هذا الجهد المتواضع أسأل الله أنْ أكون قد وفقت في سردي لما مضى ، سرداً لا ملل فيه ولا تقصير؛ لأنَّ البحث في القرآن الكريم ولا سيمّا المصطلحات القرآنية ، مما يُنعش الروح والنفس للدارسين ، ويجد الباحث لذة الذوق في هذا الأمر ،عندما يستشعر ما يقوم به تعبداً لله تعالى ، ويجد الحلاوة الحقيقية منه إذا خالط هذا العمل جنبات القلب إيماناً بما يفعل ، نسأل الله أنْ يرزقنا الإخلاص فيما كتبنا وعملنا، وقبل أنْ أضع القلم ويجف القرطاس فلا بدَّ لي من بعض الإشارات لما قمت به خلال دراستي هذه ؛ حيث تناولت في رسالتي هذه مصطلح (الذوق) في القرآن الكريم ، فكانت في جانبين ، الأول: استقرائي للآيات حيث جمعت جميع مشتقات لفظ الذوق في القرآن الكريم ، وجانب تحليلي تطبيقي استنباطي ، حيث قسمت الآيات حسب مقاصدها ، إلى التي تتحدث عن ذوق العذاب والرحمة في الدنيا ، وآيات العذاب في الآخرة ، وقسمت آيات العذاب الأخروي التي تخصُّ المشركين ، وعذاب غير المشركين من أهل الكتاب وعصاة الجن وما يتعلق بهذه الآيات من أمور وجوانب ، فبعد توفيق الله لي بإكمال بحثي ومعايشتي إياه قُرابة سنة كاملة ،وبعد الاطلاع على أقوال العلماء والمفسرين وأهل اللغة يمكن حصر ما توصلت إليه من نتائج بما يلي :

١. إنَّ القرآن الكريم مَعينٌ لا ينضب وكنزٌ لا ينفد ، ولا يمكن بلوغ نهايته مطلقاً إذ منزله هو القائل سبحانه وتعالى عنه:﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ

كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ [الكهف] ولا يمكن الوقوف على ساحلِه ، ولكن يبقى الأمل في الإنسان للوصول الى ما يستطيع أن ينهل منه .

٢. إنَّ العرب قبل نزول القرآن كانوا يستعملون لفظ (الذوق) في لغتهم في مجالات شتى .

٣. ورد لفظ (الذوق) أربعاً وستين مرة في واحدٍ وستين موضعاً، وكذلك ورد في السُنة النبوية في المأكول والمحسوس والمعنوي .

٤. جاء لفظ (الذوق) بصيغ مختلفة في (الماضي و المضارع و الأمر) في سبعٍ وعشرين موضعاً، وأكثرها وروداً صيغة (الأمر) إذ وردت ثلاثاً وثلاثين مرة أكثرها في العهد المكي وامتازت بالوعيد والتهديد مقترنة بالعذاب الأُخروي .

٥. جاء لفظ (الذوق) في إذاقة العقوبة والعذاب في الحياة الدنيا في ثلاثة عشر آية من القرآن ، أما في إذاقة الرحمة والنعيم والخير في الحياة الدنيا ففي ثماني آيات .

٦. يستعمل لفظ الذوق في المطعوم والمشروب والمحسوس واللباس والجوع والخوف والسوء والموت والرحمة والوبال والفتنة والرحمة بأنواعها والعذاب بأنواعه والبأس .

٧. أكثر السور التي جاء فيها لفظ (الذوق) نجد تكرار اللفظ في السورة نفسها في موضع آخر من السورة .

٨. ورود لفظ الذوق مع قصص الأنبياء مرة يخاطب شخص النبي صلى الله عليه وسلم وهي صيغة (لأذقناك) وأخرى مع آدم وحواء عليهما السلام وهي صيغة (فلما ذاقا الشجرة) ، وأخرى في قصة سُليمان عليه السلام مع الجن بصيغة (نُذِقه) ، ومرتين مع قوم لوط عليه السلام بصيغة (فذوقوا) .

٩. اقتران لفظ (الذوق) مع الكنز الدنيوي الذي يؤدي إلى البخل وثم إلى الهلاك فالنار فكان الكنز والكسب والعمل الدنيوي سبباً من أسباب دخول النار.

١٠. جاء الذوقُ مفُصِلاً للعذاب الأخروي بشكل ملحوظٍ مقترناً بالسبب مثل: العذاب الشديد والعذاب الاليم والعذاب الكبير وعذاب الحريق وعذاب النار و العذاب بدون تعريف ولا إضافة و عذاب الخلد وعذاب السعير وعذاب الحميم والغساق وعذاب غليظ ، والكثرة واللهجة تعطينا صورة عن المُخاطبين بهذه الآيات أنهم كافرون أولاً ، مع عدم استجابتهم للداعي ثانياً، وأنهم قد أُنّذِروا قبل مجيء هذا الخطاب إليهم .

١١. ورود لفظ الذوق في مقام النعيم والعذاب في الحياة الآخرة بصفة حيادية بالنفي للموت بآية واحدة وهي (لا يذوقون فيها الموتَ إلا الموتة الأولى) حتى يسعد من سعد على الدوام ويشقى الشقي للأبد .

١٢. أعظم أسباب ذوق العذاب الأخروي هو إنكار وجود الله تعالى أو التكذيب بالساعة أو التقول على الله أو الكفر أو الاستهزاء والسخرية بآيات القرآن وبالرسول وتكذيب الأنبياء وقتلهم ، وقتل المؤمنين وإذاقتهم العذاب بغير حق . ﴿ ﴾

١٣. كل الآيات الواردة في لفظ الذوق خارجة عن دائرة المطعوم والمشروب سوى ثلاث آيات وهي في قوله تعالى : . ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ ﴾ [آل عمران –٢٢] و ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴿٢٥﴾﴾ [النبأ–٢٤–٢٥] و﴿ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾﴾ [ص–٥٧]

التوصيات :

العيش مع كتاب الله تعالى نعمة عظيمة ، وبخاصة للواقف عليه وقفة متأمل ومتدبر ومتفكر في الآيات مع أنه مهما أوتي الانسان من قوة وحجة وفهم ثاقب ، يبقى القرآن ذلك الكتاب الذي لايزال يسقي وارديه ويروي شاربيه ويغني بالمعاني قاصديه ويثري بالعلم طالبيه، فلا تنتهي عجائبه ولا تنفد كنوزه إلى قيام الساعة ، ولذلك أوصي إخواني من طلبة العلم وبخاصة الذين مَنَّ اللهُ عليهم بقلم سيّال في مجال التفسير الموضوعي بأنْ يكملوا ما وقفنا عنده لاستخراج ما أودعه الله تعالى من كنوزٍ في كتابه الكريم ، وذلك بدراسة الموضوع من جوانب أخر. وإنني في هذا البحث لا أجزم بأنني قد استوفيت الموضوع من كل الجوانب ، كما أقر بالقصور في بحثي هذا ، إذ إنَّ كل باحث لو أعاد النظر في بحثه لقدَّم وأخَّر وغيَّر وبدَّل ، وهذه من صفات البشر أنَّه يعتريه النقص ، ويصيبه العجز والضعف.والله أسال أنْ يجبر الكسر ويسدَّ النقص وأن يغفر الخطل ويعفو عن الزلل، وأنْ ينفع بما قدَّمنا طلبة العلم الواقفين عند هذا النوع من التفسير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك

على نبيه الكريم

محمـد

وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

١- الابي، أبو سعد منصور بن الحسين الرازي، (ت: ٤٢١هـ)، نثر الدر في المحاضرات، تح: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٢- الاجُري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت: ٣٦٠هـ)، الشريعة، تح: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣- احمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت: ق ١٢هـ)، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤- احمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، مسند الأمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٥- الاخفش، علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر (ت: ٣١٥هـ)، الاختيارين، تح: فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦- الاصبهاني، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ)، درة التنزيل وغرة التأويل، دراسة وتحقيق وتعليق: د محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧- الاندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٢٠هـ.

٨- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، حسب ترقيم فتح الباري، دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٩- البدوي، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ)، من بلاغة القرآن، نهضه مصر، القاهرة، عام النشر: ٢٠٠٥م.

١٠- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
١١- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تح وتخريج: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٢- البقاعي ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
١٣- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
١٤- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
١٥- التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تح: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
١٦- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الأمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٧- الجبل ، محمد حسن حسن جبل، المعجم الأشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
١٨- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، التعريفات، تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٩- الجمل ، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، مخطوطة الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط: الأولى، ٢٠٠٣م – ٢٠٠٨م.
٢٠- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، نواسخ القرآن = ناسخ القرآن ومنسوخه، تح: أبو عبد الله العاملي السّلفي الداني بن منير آل زهوي، شركه أبناء شريف الأنصارى، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٢١- الحموي، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الشافعي، بدر الدين، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، (ت: ٧٣٣هـ) تح: الدكتور عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
٢٢- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، مسند الأمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
٢٣- حوى، سعيد حوّى (ت: ١٤٠٩هـ)، الأساس في السنة وفقهها = العقائد الإسلامية، دار السلام، ط: الثانية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
٢٤- خازم ، بشر بن أبي خازم ، ديوان بشر ، قدم له وشرحه مجيد طراد ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ،١٤١٥هـ ،١٩٩٤م
٢٥- الخطيب ، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط ت.
٢٦- درويش ، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، دار اليمامة، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط: الرابعة، ١٤١٥هـ.
٢٧- الديلمي، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر ط١، د ت.
٢٨- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٢٩- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط: الخامسة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣٠- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان داودى، دار العلم الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٣١- رضا ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم = تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

٣٢- الرماني، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني (ت: ٣٨٤هـ)، النكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، سلسلة: ذخائر العرب، تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط: الثالثة، ١٩٧٦م.

٣٣- الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، ط: الثانية عشرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣٤- الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د ط ت.

٣٥- الزجاج، إبراهيم أبو إسحاق بن السري بن سهل (ت: ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، لطائف الاشارات، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط: الثالثة، د ت.

٣٦- الزحيلي، الدكتور وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط: الثانية، ١٤١٨هـ.

٣٧- الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي وشركاؤه، ط: الأولى، د ت.

٣٨- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٩- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر، أيار، مايو، ٢٠٠٢م.
٤٠- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٤١- ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة (ت: حوالي ٤٠٣هـ)، حجة القراءات، تح وتعليق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، د ط ت.
٤٢- ابي زهرة ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت: ١٣٩٤هـ)، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، د ط ت.
٤٣- الزَّوْزَني، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد الله (ت: ٤٨٦هـ)، شرح المعلقات السبع، دار احياء التراث العربي ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٤٤- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي البغدادي، ثم الدمشقي الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، تح: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، دار البيان، دمشق، ط: الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٤٥- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، الكتاب: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح: محمود بن شعبان بن عبد المقصود ومعه مجموعة، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٤٦- السامرائي ، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري ، أسرار البيان في التعبير القرآني ، ، (هذه هي المحاضرة المفرغة، ونصها يختلف عن الكتاب المطبوع الذي يحمل نفس الاسم).
٤٧- السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، عمان، الأردن، ط: الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٤٨- السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، جمال القراء وكمال الإقراء، تح: د. مروان العطيَّة، د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط١ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٩- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٥٠- السعدي، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، القواعد الحسان لتفسير القرآن، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥١- سعيد حوى، سعيد حوّى (ت: ١٤٠٩هـ)، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط: السادسة ١٤٢٤هـ.

٥٢- ابن سلام ،يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ)، التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، قدمت له وتح: هند شلبي، الشركة التونسية، للتوزيع، عام النشر: ١٩٧٩م.

٥٣- ابن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، الامثال، تح: الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٥٤- السنيكي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى (ت: ٩٢٦هـ)، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥٥- سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط: السابعة عشر، ١٤١٢هـ.

٥٦- ابن سيده ، المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٥٧- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥٨- بنت الشاطئ ، عائشة محمد علي عبد الرحمن ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، (ت: ١٤١٩هـ) ، دار المعارف ط: الثالثة، د ت.

٥٩- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: ٢٠٤هـ)، المسند، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام النشر: ١٤٠٠هـ.
٦٠- الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل المطبوع، أي: بيانات عن رقم ط أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧م.
٦١- الشماخ ، الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني، قال البغدادي وآخرون: اسمه معقل بن ضرار، والشماخ لقبه، (ت: ٢٢هـ، ٦٤٢م).
٦٢- شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥هـ.
٦٣- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز، جدة، ط: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٦٤- شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ)، حاشية الشهاب على البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت، د ط ت.
٦٥- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت، د ط ت.
ص١٣٥ رقم البيت ١٨ رقم القصيدة ٣٩ من المتقارب
٦٦- صافي ، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ)، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت ط: الرابعة، ١٤١٨هـ.
٦٧- صافي، محمود بن عبد الرحيم (ت: ١٣٧٦هـ)، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط: الرابعة، ١٤١٨هـ.
٦٨- الطالبي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الملقب بالمؤيد باللَّه (ت: ٧٤٥هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٦٩- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: الثانية، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي، دار الصميعي، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٧٠- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٧١- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، شرح الطيبي على مشكاة المصأبيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧٢- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، مقدمة التح: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٧٣- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٧٤- العاني، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ)، بيان المعاني، مطبعة الترقي، دمشق، ط: الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م.

٧٥- عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧٦- عبدالرزاق ، محمود عبدالرزاق، المعجم الصوفي، أول دراسة علمية فى الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي، د ط ت.

٧٧- عبدالغفار ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (ت: ٣٧٧هـ)، الحجة للقراء السبعة، تح: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط: الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٧٨- عبدالمنعم ، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، د ط ت.

٧٩- ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، راجع أصوله وتخريج وتعَق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٨٠- العسكري أبو هلال، معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري، تح: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، تنظيم: الشيخ بيت الله بيات ومؤسسة النشر الاسلامي، التاريخ: شوال المكرم ١٤١٢هـ.

٨١- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: نحو ٣٩٥هـ)، الوجوه والنظائر، تح وتعليق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٨٢- عضيمة، محمد عبد الخالق (ت: ١٤٠٤هـ)، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، د ط ت.

٨٣- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٨٤- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ)، التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، د ط ت.

٨٥- العمار ، عبدالعزيز بن صالح ، مجلة تبيان للدراسات القرآنية العدد(١٤) ١٤٣٤هـ، بحث (مقامات مادة الذوق في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية).

٨٦- عمر ، أحمد، مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٨٧- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تح: بسام عبد الوهاب الجأبي، الجفان والجأبي - قبرص، ط١، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م.

٨٨- فاخر ، المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (ت: نحو ٢٩٠هـ)، تح: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٨٠هـ.

٨٩- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٩٠- ابن فارِس، أبو الحسين أحمد بن زكَرِيّا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٩١- ابو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، روح البيان، دار الفكر، بيروت، د ط.

٩٢- الفراهيدي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٩٣- ابن فورك، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت: ٤٠٦هـ)، تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون إلى آخر سورة السجدة، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، جامعة أم القرى، السعودية، ط الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٩٤- الفيروزآبادي ، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٩٥- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦- ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٩٦- قادر ، محمود كريم قادر ، رسالة ماجستير بعنوان(أبنية التراكيب المعبرة عن الاحداث ودلالاتها في سورة الروم)، نوقشت في جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، في ٢٠١٥م.

٩٧- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط ت.

٩٨- القدومي، سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، دار الوضاح، الأردن، عمان، د ط ت.

٩٩- القصَّاب، أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي (ت: نحو ٣٦٠هـ)، النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، تح: علي بن غازي التويجري، إبراهيم بن منصور الجنيدل، شايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار القيم، دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٠٠- القنوجي ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، صَيدَا، بَيروت عام النشر: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٠١- القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني البخاري (ت: ١٣٠٧هـ)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، صَيدَا، بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٠٢- القيرواني، علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني، أبو الحسن (ت: ٤٧٩هـ)، النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٠٣- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تفسير القرآن الكريم، تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط: الأولى - ١٤١٠هـ.

١٠٤- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط ت.

١٠٥- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٠٦- الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ)، أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تح: عبد القادر أحمد عطا مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، د ط ت.

١٠٧- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٠٨- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تفسير الماوردي = النكت والعيون، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط ت.

١٠٩- المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت: ١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط ت.

١١٠- المبرد، محمد بن يزيد ، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: الثالثة ١٤١٧هـ.

١١١- محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان (ت: ٣٤٧هـ)، تصحيح الفصيح وشرحه المحقق: د. محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، عام النشر: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١١٢- المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني تح: د فخر الدين قباوة، الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١١٣- المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

١١٤- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط ت.

١١٥- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط الثالثة ١٤١٤هـ.

١١٦- المنياوي، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف، الأساليب والإطلاقات العربية، مصر، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١١٧- ابو موسى ، محمد محمد، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، ط: السابع، د ت.

١١٨- ابو موسى، محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، ط: السابعة د ت.

١١٩- الناصري، محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، (ت: ١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

١٢٠- ابن الانباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، عام النشر: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٢١- النحاس، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ)، معاني القرآن، تح: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٢٢- النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، إعراب القرآن، وضع حواشيه وتعليق: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

١٢٣- النخجواني، نعمة الله بن محمود، ويعرف بالشيخ علوان (ت: ٩٢٠هـ)، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار ركابي، الغورية، مصر، ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٢٤- النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو،الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١٢٥- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٢٦- النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: ٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط ت.

١٢٧- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٢٨- الهرري، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي تفسير حدائق الروح والريحان في روأبي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٢٩- الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٣٠- الهروي، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت: ٤٠١هـ)، الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي ، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٣١- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٣٢- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط: الثانية، ١٤١٢هـ.

١٣٣- ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (ت: ٨٤٠هـ)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تح وضبط، وتخريج، وتعليق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٣٤- الوطواط، أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي لمعروف بالوطواط (ت: ٧١٨هـ)، غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٣٥- ياسوف ،احمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبى، دمشق، ط: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

The Summary

Verses of taste in the Holy Koran
Prepared by :Muhammad Kareem Qader
Supervised by :Dr. Muhammad Hamed Al- doomy
My thesis aimed at clarifying and founding the concept of ''Taste '' through the extrapolation of verses that include this expression which leads to the concept ,analyze and discuss it through the sayings of the explainers ,scholars and the linguists . Then ,summate all these thoughts ,ideas and opinions in one book to be presented to the readers .

I have written my thesis in an introduction ,preliminary ,five chapters ,conclusion and the results .

The introduction deals with the reasons behind choosing this subject ,its important ,purposes
Prior studies and the method that followed .
In the preliminary chapter ,I have explained the sense of ''taste ''in the Arabic language
,orismology and scientific miraculousness .
In the first research ,I have dealt with the usages of ''taste'' in the Holy Koran and the related expressions and I divided the chapter to two researches .

In the first one , I have dealt with usages of ''taste '' in other resources and made it in three headings . The first heading deals with the usages of the expression'' taste'' in the language of Arabs in pre-Islamic Era . The second one deals with the expression ''taste'' in the Islamic Era .The third one deals with the word ''taste '' in the language of the non-Arabs .

In the second research I talked about the expressions that related to the word ''taste'' and divided it to six headings .

In the second chapter , I have made an extrapolation of the verses of the Holy Koran in which the expression of ''taste '' is mentioned and they are twenty patterns in sixty four verses.
I have divided the second chapter to five researches according to the patterns of verbs :past ,present and imperative and the number that they mentioned .

The third chapter has been divided to two researches .

In the first one I have presented the expression ''taste'' that convey the sense of mercy
And bliss in the worldly life and the number of verses for this sense Tot up to eight verses
And I talked about the reasons of ''Mercy taste'' and how man dealt with this mercy that Allah
Expressed mercy through the expression of ''taste'' .
In the second research , I have presented the expression of ''Punishment taste ''and the torture in the worldly life ,and the verses Tot up to thirteen verses ,and all these verses informed us about the punishment and the misfortunes that fell on the prior nations and the reasons of their tasting these misfortunes during their worldly life .
In the fourth chapter ,I have dealt with the hereafter torture and divided it into certain headings and each heading deals with apart of torture ,and the verses Tot up to more than thirty verses that include the most verses that include the expressions of torture .

In the fifth chapter , I specialized it for the expressions that should not be listed under the prior concept that mentioned before .That is for certain reasons ,such as ,the desire to put them in an isolated chapter to add a certain feature to this thesis . The vital important of these expressions to be in an isolated chapter since some of them related to the personality of the prophet Muhammad (Peace and Blessings be upon Him) . Moreover ,some of them mention the story of our father Adam and our Mother Eve (Peace and Blessings be upon them)
and how the Satan seduced them .And some of them are related to one of great Islamic Pillar
that is Haj (Pilgrimage) and some related to actions and deeds of humans and so and so .
I would not like to mention all these expressions in detail to avoid being too prolonged ,for these reasons and others I specialized one chapter for them.